



www.alkashif.org

مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية

مقالات إستراتيجية في الملف الشيعي (١)

بقلم: مجموعة من الكتاب الإستراتيجيين

نشرت في عدد من الصحف الأمريكية وفي عدد

من مواقع مراكز الأبحاث الإستراتيجية

المهمة في الولايات المتحدة



TIME



ترجمة : مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة العدد:

في هذا العدد ترجمة لعدد من المقالات الإستراتيجية التي تتناول الشأن الشيعي من خلال وجهات نظر مختلفة، وهي منشورة في وسائل الإعلام الأمريكية المختلفة، من صحافة ومجلات ومراكز أبحاث إستراتيجية. والغرض من ترجمة هذه المقالات هو مساعدة صناع القرار في العراق على معرفة طريقة تفكير الطرف الآخر بموضوع الاختلاف السني-الشيعي. وفيما يلي خلاصات مركزة لهذه المقالات:

هل ستكسب ايران حرب العراق؟ بقلم: أحد مفكري المحافظين الجدد: رويل غريشت بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١٤

- في بداية مقالته يعارض الكاتب من يقول بعدم مواجهة ايران بشكل مباشر والإكتفاء بإستخدام أوراق الضغط التجارية لتغيير سلوك ايران النووي.

- ويدعو في المقابل الى تبني موقف أكثر صرامة تجاه تدخل ايران في الشأن العراقي ومساعدتها للحصول على السلاح النووي.

- ويدعو الى لعب ورقة القومية العراقية، ويذكر بأن شعار القومية هو أنجح شعار صدّرته أوربا الى الشرق الأوسط، بهدف إعادة ترتيب أوضاع المنطقة. ويقول بأن شيعة العراق هم أباء وأجداد القومية العراقية الحديثة، وبشكل أكبر من أبناء جلدتهم السنة العرب.

- ويشير الى العلاقة القديمة بين ايران وشيعة العراق، وخاصة علماء الدين، الذين أكملوا دراساتهم الحوزوية في النجف وكرلاء لإتقان اللغة العربية وكسب العلوم الدينية، ويشير الى التزاوج المتبادل بين الأسر الدينية في كلا البلدين، الذي وصل الى أوجه في بداية القرن العشرين، وقبل بدايات المد القومي المتعصّب في كلا البلدين.

- لكنه يعتقد بأن هذا الترابط لا ينبغي النظر اليه على أنه تعاطفاً أيديولوجياً، فهناك مشاعر مرارة لدى العراقيين تجاه الإيرانيين الذين لم يفعلوا شيئاً لمساعدتهم أثناء إنتفاضة عام ١٩٩١.

- ويعتقد كذلك بأن الحرب الإيرانية-العراقية أدت الى إضعاف الشعور بالتعاطف بين شيعة البلدين او حتى الى تقويضه نهائياً. ويدعي بأن القومية والعروبة الحديثة أصبحت العناصر الأبرز والمكونة للهوية الشيعية العراقية.

- ويذكر شعور الخيبة عند الإيرانيين تجاه شيعة العراق بسبب إشتراكهم في الحرب ضد هم. ويشير الى شعور الإيرانيين بالإرتياح تجاه صدام ضعيف في العراق أبان التسعينات وسيطرته على الشيعة ومنعه رجال الدين من أن يصبحوا قادرين على منافسة وتحدي النفوذ الإيراني.

- ويعتقد بأن من مصلحة ايران ضمان بقاء العراق كبلد غير مستقر وعاجز عن تشكيل حكومة منتخبة ديمقراطياً وموحدة، لكي لا تكون نموذجاً يحتذى به في المنطقة.

- ويذكر بأن الحافز الذي يدفع طهران الى تقديم العون والدعم الى الأحزاب الشيعية ، هو حثّها على الإتكال كلياً عليها.

- ويقول بأن الأقلية السنية بنتابها قلق شديد إزاء ولادة دولة عراقية يقودها الشيعة، وهو أمر لا يمكن تحاشيه إذا واصل العراق مسيرته نحو الديمقراطية. وإن ما يريد نظام إيران رؤيته بصورة مثالية في البلد المجاور له هو صراع أو نزاع يمكنه من أن يؤدي إلى ولادة حزب الله عراقي. ويمكن القول بأن الصديين هم أكثر قرباً وشباهة بحزب الله اللبناني، الذي ساهم في ولادته حرباً أهلية وغزواً إسرائيلياً. وفي العراق حصل الغزو الأمريكي ولم يبق إلا نشوب الحرب الأهلية.

- ويذكر بأن من مصلحة إيران عدم نجاح التجربة الديمقراطية في العراق، وإستنزاف الولايات المتحدة مادياً ومعنوياً، وبالتالي إضعاف القوتين المعارضة في إيران وهما: الشباب من ذوي الميول الغربية ورجال الدين المنشقين المنادين بالديمقراطية، الأمر الذي يؤدي إلى إضعاف الإرادة الأمريكية وجراثمها للإقدام على التحرك ضدها.

- ويؤكد على أهمية سحق التمرد السني وإجتثاث جذوره، وعلى ضمان إستمرار دوران عجلة الديمقراطية في العراق، بغض النظر عن العنف المتواصل فيه، لإضعاف ومنع النفوذ الإيراني، لأن المجلس الأعلى وحزب الدعوة وجماعة الصدر ليسوا دمي بيد طهران تحركها أو تلعب بها كيفما تشاء، والقدرة المتنامية للعشائر الشيعية في جنوب العراق، التي كانت على مدى التاريخ تنتظر إلى التيار الديني بإزدراء من كل الزوايا، ستعمل على إفشال وإحباط النفوذ الإيراني.

- وفي الختام يدعو إلى المواجهة الحازمة ضد إيران، قبل أن تكسب حكومة رجال دين إيرانية مسلحة نووياً جولة المعركة، سواء في العراق أو ما وراء العراق.

حرّروا الشيعة من قيودهم؟ بقلم: لورا روزن، مراسلة بارزة في صحيفة الأفق الأمريكي/ بتاريخ ٢٠٠٦/١١/١٦

- يدور محور هذه المقالة حول إجتماع سري عقد بحضور الرئيس بوش ونائبه وعدد من المسؤولين الكبار في الحكومة الأمريكية، لمناقشة تقرير إستراتيجي أعدّه مستشار الأمن القومي ستيفن هادلي، إستقاه من زيارته إلى بغداد، لمناقشة خيار الشيعة والوقوف إلى جانبهم ضد السنة.

- وتناقش المقالة مخاطر هذه الإستراتيجية على مستوى إختيار الفرد المناسب، وعلى مستوى إحتمال تعزيز النفوذ الإيراني في العراق، وعلى مستوى الحرج الذي سيصيب السياسة الأمريكية أمام حلفاءها السنة، مثل مصر والأردن والسعودية. لذلك إذا ما تم تبني هذه الإستراتيجية فسيكون ذلك بشكل سرّي وغير معلن.

العوامل الكامنة وراء صعود الشيعة/ بقلم: ولي نصر، عضو مجلس العلاقات الخارجية

مجلة التايم - ٢٠٠٦/١٢/١٩

- يعتقد الكاتب بأن أمريكا تواجه اليوم شرقاً أوسطاً مهشماً ومجزّأ، تعصف به نزاعات وصراعات قديمة وحديثة، لكل واحد منها قضاياها الخاصة به، لكنها جميعاً مرتبطة بصحوة ونهضة شيعية أوسع بدأت ملامحها تبرز في العراق، ومن أجل إصلاح أوضاع الشرق الأوسط وجعله يسير في الطريق الصحيح، ينبغي لواشنطن إجراء نقاش وحوار جاد مع هذه القوة الجديدة والتعرف على الأسلوب الذي تتبعه لصياغة هيكلية جديدة للمنطقة.

إلتقاذ الديمقراطية في العراق حرب بوش تستهدف الشيعة أيضاً/ بقلم: مقتدر خان، عضو غير مقيم في مركز سابان لسياسة الشرق الاوسط / مجلة نيوز - ٢٠٠٧/١/١١

- يتناول الكاتب في مقالته هذه السياسة الأمريكية الجديدة في العراق والقاضية بزيادة عدد القوات في بغداد والتي تحتوي على ثلاثة عناصر جديدة: البقاء في المناطق المطهرة وعدم تركها لكي تعود اليها العناصر الإرهابية، ومواجهة الميليشيات الشيعية ودخول مناطقها، ومواجهة إيران. و يعتقد بأن هناك مشكلة رئيسية عند تطبيق هذه الاستراتيجية ، ويتساءل، هل يمكن لصنّاع السياسة الأمريكيين إدراك هذه الحقيقة. فبتصريحه هذا يكون بوش قد أعلن الحرب عملياً ضد الشيعة. فقد قرّر ملاحقة الميليشيات الشيعية في العراق الى جانب الانظمة الشيعية الحاكمة في المنطقة. ويعتقد بأن نزعة إدارة بوش للحرب والعنف لم يتم إشباعها بالحروب في أفغانستان والعراق والصومال ، لكنها تسعى فعلاً الى فتح جبهات جديدة في أماكن أخرى مع خصوم آخرين.

لماذا ينبغي لأمريكا تجربة حظّها مع الشيعة؟ بقلم: نيكولاس غفوسديف وراي تاكية، بتاريخ ٢٠٠٧/٢/١٤، كاتب المقال هو رئيس تحريرمجلة المصلحة الوطنية (The National Interest) . والكاتب راي تكية هو عضو أقدم في مجلس العلاقات الخارجية ومؤلف كتاب "إيران الخفية: التناقض والسلطة في الجمهورية الاسلامية"

- يعتقد الكاتبان بأن فريق بوش يواجه اليوم إحباطين او خيبتين: الاولى هي إن الأنظمة السنيّة الحاكمة في المنطقة لا تميل كثيراً الى دعم مساعي ومحاولات أمريكا في المنطقة، بل ربما قد تعمل على عرقلتها وسدّ الطريق أمامها، ويران بأن هذه الأيام البلدان الخليجية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية ، ورغم تمتّعها بعائدات نفطية هائلة، لا تسرع في تقديم المعونات المالية والمساعدات لتنفيذ برامج إعادة إعمار العراق، ولا تبادر الى ردع او كبح جماح الجماعات المذهبية والشرائح الفكرية السنية التابعة لها ومنعها من تأجيج شرارة او نيران التمرد والعمليات المسلحة في العراق. ويشيران الى التقارير الواردة حول قصة المشاحنات والنزاعات الطائفية في العراق التي تعكس أن المتمردين السنة يحظون بدعم مالي ومادي ضخم يأتيهم من مانحين أثرياء في مشيخات الخليج إضافة الى الاردن، وخيبة الأمل الثانية لفريق بوش تكمن في أن الفكرة القائلة بإمكانية إحلال الإستقرار في منطقة الشرق الاوسط عبر إعادة إلتنام وتوحيد صفوف الدول السنية على غرار ما حصل في الثمانينات ، هي فكرة مضللة وغير صادقة، وإن تعريف او تحديد مدى قدرة الشيعة بإعتبارهم الجهة المتطرفة المضادة لأمريكا والجهود المتهورة او المحمومة لمحاولة قلب الحقائق المتعلقة بجغرافية الخليج الفارسي ، ليست سياسات قديمة او بالية فحسب، بل هي سياسات فاشلة وقاصرة أيضاً، ويعتقدان بأن، ومن أجل تخليص نفسها من المأزق الذي تورّطت فيه في المنطقة، يجب على الولايات المتحدة أن تبادر لإلتخاذ بعض القرارات الصعبة، بدءاً من العراق. وإن إرسال القوات الامريكية الى العراق مع تحميلها إلتزامات وتعهدات بالتحرك لنزع سلاح الميليشيات الشيعية لن يؤدي فقط الى تعقيد النزاع الطائفي الدائر فعلاً في العراق بل سيقود أيضاً الى إقصاء الغالبية الشيعية من الساحة، دون أي تحول مطابق في مواقف الأقلية السنية تجاه الولايات المتحدة، ويجب على واشنطن أن تعلن وتوضّح لمرة واحدة وللابد تعهدها لغالبية سكّان العراق وحكومته المنتخبة، ولا بد لأمريكا من إلتخاذ خيار الوقوف الى جانب الطرف الذي بات مرجحاً لكسب

جولة المعركة وتحقيق النصر في الحرب الأهلية الدائرة فعلاً، أي الشيعة. ويعتقدون بأن العراق ذو الغالبية الشيعية ليس مستعداً لركوب الموجة الأمريكية أو مجارة التيار الأمريكي في مقابل إيران ولبنان أو إسرائيل - لكن شيعة العراق لا تحوهم أية رغبة ليتحولوا الى أذنان تابعين لإيران ومنفذين لأوامرها. ويدعون الولايات المتحدة الى النظر لما وراء معايير او شعارات رجعية لإيجاد طريقة جديدة للتقرب الى اللاعبين الشيعة والدول الشيعية التي لم يعد بالإمكان إحتوائها او إخضاعها لسلطة سنية.

نمط حياتنا الراهنة - إختيار الطائفة / بقلم: نوح فيلدمان، عضو مجلس العلاقات الخارجية

صحيفة نيويورك تايمز ٢٠٠٧/٣/٤

- يقول الكاتب بأن الولايات المتحدة الأمريكية تجد نفسها في وضع غير عادي او حرج بترجيح إقامة حكومة شيعية في العراق وتفضيل قادة سنة في سائر أنحاء العالم، ويذكر الجدل المستمر بين على أمريكا إختيار الراجح في الصراع وتقديم الدعم له الى أقصى حد ممكن والى النهاية، وي طرح السؤال التالي: **من هو حليفنا الطبيعي في هذا الصراع التاريخي؟** ويقول بأنه في حالة تقديم الدعم لشيعة العراق في الوقت الذي يكونون فيه منهمكين في مذابح وأعمال إنتقامية ضد السنة العراقيين ، فإننا سنجازف بتحويل حلفاءنا التقليديين من البلدان السنية المنتجة للنفط الى أعداء لنا في حين يضحي الجنود الامريكان بأرواحهم ودمائهم لخدمة مصالح الإيرانيين. ويشير الى إعتقاد البعض بأن الاسلام السني يعيش في دولة بائسة ، ويخضع لهيمنة نزعة أصولية متعصبة ومناوئة للفكر تحركها وتديرها المملكة العربية السعودية الوهابية . ويذكر هنا بأن أسامة بن لادن هو فرد سني يدين ويشجب الشيعة والامريكان ويعتبرهم جميعا كفاراً او ملحدين. ويعتقد بأن الولايات المتحدة ستخطئ لو توصلت الى نتيجة مفادها أنه من المحتم عليها دعم طرف دون الآخر في تجدد النزاع مؤخراً بين السنة والشيعة ، وإن الميول التي تجعل أياً من الطائفتين متميزة عن غيرها ليست صالحة او رديئة بشكل مطلق بالنسبة للولايات المتحدة. ويعتقد بأنه إذا أرادت الولايات المتحدة إخماد جذوة الصحوه الاسلاميه المضادة لأمريكا، عليها أن تستعد لإحتواء وإحتضان المعتدلين والديمقراطيين من كل الشرائح، السنية والشيعة. ومن الناحية الإستراتيجية، سيكون من الخطأ إبلاغ او إفهام جميع مسلمي العالم بأن الولايات المتحدة تدعم أحد الطرفين إما السنة او الشيعة.

الإلتسام الشيعي - السني/ بقلم: ربول مارك غريشت بتاريخ ٢٠٠٧/٣/٦ - معهد الأعمال الأمريكي

يعتقد الكاتب بأن شيعة لبنان والعراق قد إستعدوا فعلاً مركزهم وموقعهم المسلوب منهم ، وبعد تولدهم من جديد خلال العنف وقدره الديمغرافية السكانية، وصار لزاماً على السنة أينما كانوا أن يعيشوا هذه الحقيقة ويعترفوا بها، ويشير الى أن العديد من السنة العرب يوجهون اللوم للولايات المتحدة الأمريكية ويحملونها المسؤولية عن صعود الشيعة وتنامي قدرتهم في الوقت الراهن - التهمة التي لا تبدو أنها بلا أساس واقعي، ويقول بأنه: من الصعب رؤية تجسد أمل الكاتب الأنغلو-الأمريكي أندرو سوليفان بأن يؤدي الصدام بين السنة والشيعة في العراق الى تقليل الإلتباه وتركيز الأضواء على دور الولايات المتحدة وسياساتها في العالم المسلم . والعكس يبدو أكثر ترجيحاً وأقوى احتمالاً، ويعتقد بأنه على الرغم من صعوبة تصوّر وقوع حرب ساخنة فعلاً بين السنة والشيعة في منطقة خارج العراق، فإن بلاد ما بين النهرين (الإسم القديم للعراق) تحولت فعلاً الى

ساحة لصراع غير مباشر او حرب الوكلاء الدينيين . فالاردن والمملكة العربية السعودية ومصر إختاروا وبوضوح الوقوف الى جانب السنة العرب، في حين تبذل ايران وحزب الله لبنان أقصى جهودهما لرؤية النموذج الذي طرحاه للشيعه يحقق الانتصار ويكسب المعركة، ولن يقوى إحتمال وقوع أي نزاع غير مباشر إلاّ عندما تسحب الولايات المتحدة قواتها من العراق في غضون السنتين القادمتين.

يرى البعض بأن إدارة بوش بحاجة لأن تكون أكثر واقعية وعملية في تعاملها ومحاولاتها للتقارب مع نظام الملالي في ايران، وهي مطالبة بإتباع المبادرة الأوروبية المبنية على إستخدام أوراق الضغط التجارية لتغيير سلوك ايران النووي

إن لعبة النفوذ المتبادلة بين الشعب العراقي وجاره الشرقي (ايران) ينبغي أن تؤدي الى تشجيع إدارة بوش لإتخاذ او تبني موقف أكثر صرامة وجدية تجاه تدخل نظام الملالي المتزايد في العراق ومسعاها للحصول على السلاح النووي

ويمكن القول إن أقوى ورقة لعب رابحة يمكن اللعب بها لصالح الولايات المتحدة ضد ايران هي القومية العراقية

وشيعه العراق هم آباء وأجداد القومية العراقية الحديثة. وقد قام هؤلاء ، وبشكل أكبر من أبناء جلدتهم السنة العرب الذين كانوا القوة المحركة وراء القومية العربية في بلاد ما بين النهرين، قاموا بصياغة او تأسيس هوية عربية عراقية متميزة عن هوية السنة العرب في غرب العراق والشيعه الايرانيين شرقاً

فشيعه العراق يضمرون مشاعر مريرة شديدة تجاه الولايات المتحدة بسبب فشل الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش في مساعدتهم في محنتهم أثناء التمرد العظيم في العام ١٩٩١، عندما إنتفض الشيعة والاكرد ضد صدام حسين بعد حرب الخليج الاولى (ربما يقصد الثانية)

وأصبحت القومية والعروبة الحديثة العناصر الأبرز المكونة للهوية الشيعية العراقية

ولقول الحق، فإن النظام الديني في طهران لم يعترض على الوضع الذي كان سائداً في العراق في التسعينات بوجود صدام ضعيف او مسلوب القوة وغير قادر على غزو ايران لكنه بإمكانه الإبقاء على طائفة الشيعة في العراق ، وبالأذات رجال الدين بينهم، كعناصر هادئة او خامدة وغير قادرة على التنافس مع الجمهورية الاسلامية او تحدّي نفوذها

وإن موقف النجف (علماء النجف) من الديمقراطية هو إنكار صريح لحق آية الله علي خامنائي وأتباعه او حاشيته في حكم ايران

فقد دأب حزب الدعوة والصدريون وبشكل منتظم على التقليل من شان آية الله العظمى علي السيستاني بسبب أصله

الفارسي ، وأثاروا ضجة أزاء عادة ايران في فرض إملاءاتها على شيعة العراق والنظر اليهم كتابعين لها

وينتاب الأقلية السنية في العراق قلق شديد أزاء ولادة دولة عراقية يقودها الشيعة، وهو أمر لا يمكن تحاشيه اذا واصل العراق سيره نحو الديمقراطية

وإن ما يريد نظام ايران الديني رؤيته بصورة مثالية في البلد المجاور له هو صراع او نزاع يمكنه أن يؤدي الى ولادة حزب الله عراقي. ويمكن القول إن الصديين هم أكثر قريباً وشبابة بحزب الله اللبناني من الناحية الفلسفية، لكنهم من الناحية الايديولوجية لا يمثلون منظمة او حركة موالية بشكل مطلق لطهران، مع تطورهم

وإن ولادة حزب الله لبنان ، الذي يعتبره المالكي الحاكمون في طهران بأنه يمثل أعظم نجاح حققوه خارج حدود بلادهم، إقتضت حرباً أهلية داخل لبنان وغزواً إسرائيلياً لها. وفي العراق حصل رجال الدين الحاكمون في ايران على غزو أمريكي، ولا يعوزهم سوى نشوب حرب أهلية كي يتولد حزب الله في العراق

هل ينبغي للولايات المتحدة التخلي عن جهودها للقيام بدور الحكم المحايد في الحرب الأهلية الدائرة في العراق، وإلقاء الكرة بدلاً من ذلك في ملعب الشيعة وتجربة حظها معهم؟

لكن عناصر في الإدارة الأمريكية، من بينهم عناصر في جهاز الإستخبارات ، يعتقدون أن مثل هذا الميل الى جانب الشيعة، قد يؤدي الى ترسيخ الإستقرار بشكل أسرع من السياسة الراهنة القائمة على أساس لعب دور الشرطي في الصراع الطائفي الدائر في العراق بشكل متكافئ ومتوازن، مع إحراز نجاح بسيط وتكبد خسائر جسيمة ودفع ثمن باهظ

وإن تنفيذ هذه المهمة سيكون بمثابة تقهقر او تراجع في إستراتيجية واشنطن خلال السنتين الأخيرتين والرامية الى مهادنة السنة وإقناعهم بالدخول في العملية السياسية، وهو مسعى قاده السفير الأمريكي لدى العراق زلمي خليل زاد

ومن بين المخاطر التي تحفّ بإستراتيجية "حرروا الشيعة من قيودهم" هو أنه فيما لو تمّ تبني إنتهاج هذه السياسة ، فلن يكون مرجحاً أن يقرّ البيت الابيض وبشكل علني بأن مثل هذا الخيار تم إتخاذه وتبنيه

وإن هذا الخيار، حاله حال خيارات أخرى ساهمت في خلق المصاعب والعقبات في طريق الولايات المتحدة ، سيكون قراراً أتخذ في الظلام وفي غرف مغلقة، بعيداً عن أنظار الرأي العام وخارج نطاق جدل عامة الشعب

من أجل فهم القضايا الراهنة على مسرح أحداث الشرق الاوسط، ينبغي لواشنطن أن تتفهم أولاً مدى نفوذ القوى الشيعية في عموم المنطقة

إن أبرز تحدي يواجه الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط المتوتر باستمرار، يكمن في فهم أبعاد صحوة الشيعة في سائر أنحاء المنطقة

وكان بروز الشيعة كقدرة قوية لها وزنها ورد فعل السنة لذلك أمور تدور في أذهان الجميع في المنطقة

فقد حوّلت هذه الحرب حزب الله اللبناني والنظام الإيراني إلى سماسرة قدرة في المنطقة، وأدت إلى خروج الشيعة المبتهجين إلى شوارع العراق والبحرين والمملكة العربية السعودية

ويمكن القول إن ما زرعه إيران في لبنان تتوقع جني ثماره في العراق

وتواجه أمريكا اليوم شرقاً أوسطاً مهشماً ومجزّأ، تعصف به نزاعات وصراعات قديمة وحديثة، لكل واحد منها قضاياها الخاصة به، لكنها جميعاً مرتبطة بصحوة ونهضة شيعية أوسع بدأت ملامحها تبزغ في العراق

ومن أجل إصلاح أوضاع الشرق الأوسط وجعله يسير في الطريق الصحيح، ينبغي لواشنطن إجراء نقاش وحوار جاد مع هذه القوة الجديدة والتعرف على الأسلوب الذي تتبعه لصياغة هيكلية جديدة للمنطقة

وهناك مشكلة رئيسية عند تطبيق هذه الاستراتيجية ، ولا أدري هل يمكن لصنّاع السياسة الأمريكيين إدراك هذه الحقيقة. فبتصريحه هذا يكون بوش قد أعلن الحرب عملياً ضد الشيعة. فقد قرّر ملاحقة الميليشيات الشيعية في العراق إلى جانب الانظمة الشيعية الحاكمة في المنطقة

عناوين المواضيع

- ١٠ هل ستكسب إيران حرب العراق؟ بقلم: رويل مارك غريشت بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١٤ ١٠
- ١٤ حرّروا الشيعة من قيودهم ؟ بقلم: لورا روزن ٢٠٠٦/١١/١٦ ١٤
- ١٦ العوامل الكامنة وراء صعود الشيعة بقلم: ولي نصر مجلة التايم - ٢٠٠٦/١٢/١٩ ١٦
- ٢٠ لإتخاذ الديمقراطية في العراق حرب بوش تستهدف الشيعة أيضاً بقلم: مقتدر خان مجلة نيوز - ٢٠٠٧/١/١١ ٢٠
- ٢٢ لماذا ينبغي لأمریکا تجربة حظّها مع الشيعة؟ بقلم: نيكولاس غفوسديف وراي تاكية ٢٠٠٧/٢/١٤ ٢٢
- ٢٥ نمط حياتنا الراهنة - إختيار الطائفة بقلم: نوح فيلدمان ٢٠٠٧/٣/٤ ٢٥
- ٢٧ الإنقسام الشيعي - السنّي بقلم: ربول مارك غريشت ٢٠٠٧/٣/٦ ٢٧

معهد المشروع الأمريكي لأبحاث السياسة العامة

هل ستكسب إيران حرب العراق؟

بقلم: رويل مارك غيريشت

ونشر المقال في مجلة وول ستريت

بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١٤

يوجد اليوم عدد كبير من صنّاع القرار داخل مؤسسة او جهاز صنع السياسة الخارجية في واشنطن ممن يبدون مخاوفهم ، وأملهم ، من أن يؤدي تورط أمريكا في المأزق العراقي الى إضعاف وتحلل قدرة إدارة بوش في مواجهتها لطموحات الجمهورية الاسلامية الايرانية ومساعدتها لإملاك السلاح النووي . فاذا إختارت هذه الادارة سبيل المواجهة، فإن طهران - وهكذا تذهب الآراء - بإمكانها جعل الحياة صعبة للغاية للولايات المتحدة في العراق، وذلك عبر شبكاتها السرية وحلفائها الشيعة (للقيام بتحركات ضد المصالح الامريكية). والولايات المتحدة لا يمكنها ببساطة الاحتفاظ بحق او إمكانية ضرب او مهاجمة منشآت تصنيع الاسلحة النووية العائدة للنظام الديني الحاكم في ايران، خشية أن تؤدي هذه الضربة الى خلق حالة فوضى لا نهاية لها على جبهتين في العراق، حيث رفض الشيعة لحد الآن وبصورة شاملة الانضمام الى التمرد السني . وبهذا فإن إدارة بوش بحاجة لأن تكون أكثر واقعية وعملية في تعاملها ومحاولاتها للتقارب مع نظام الملالي في ايران، وهي مطالبة بإتباع المبادرة الاوروبية المبنية على إستخدام أوراق الضغط التجارية لتغيير سلوك ايران النووي.

لكن هل يمكننا فهم معنى او مغزى هكذا إستنتاج؟ فهل درجة التلاحم والترابط بين العراق

وايران بلغت حدّاً أصبحت معه أمريكا مقتّدة اليدين بشكل أساسي بحيث لا تدري كيف تتعامل مع ملالي طهران؟ لكن لايمكن طرح مثل هذا الادعاء في جميع الاحتمالات. وفي الواقع، إن لعبة النفوذ المتبادلة بين الشعب العراقي وجاره الشرقي (ايران) ينبغي أن تؤدي الى تشجيع إدارة بوش لإتخاذ او تبني موقف أكثر صرامة وجدية تجاه تدخل نظام الملالي المتزايد في العراق ومسعاها للحصول على السلاح النووي.

ويمكن القول إن أقوى ورقة لعب رابحة

يمكن اللعب بها لصالح الولايات المتحدة وضد إيران هي القومية العراقية. فشعار القومية هو ببساطة أنجح شعار صدّرته أوروبا الى الشرق الاوسط ، بهدف إعادة ترتيب روابط أقدم وإخضاعها وأحياناً حذفها ومنها الإيمان والأسرة والعشيرة، تربط بين أبناء مجتمعات هذه المنطقة. وشيعة العراق هم آباء وأجداد القومية العراقية الحديثة. وقد قام هؤلاء ، وبشكل أكبر من أبناء جلدتهم السنة العرب الذين كانوا القوة المحركة وراء القومية العربية في بلاد ما بين النهرين، قاموا بصياغة او تأسيس هوية عربية عراقية متميزة عن هوية السنة العرب في غرب العراق والشيعة الايرانيين شرقاً.

وهناك علاقات قديمة وعريقة تربط بين ايران وشيعة العراق وخاصة علماءهم ورجال الدين فيهم . ومن الناحية التقليدية ، فقد أكمل أبرز طلبة العلوم الدينية ورجال الدين الايرانيين دراساتهم الحوزوية في الحوزات العلمية في النجف وكربلاء ، لإتقان اللغة العربية وكسب علوم تفسير القرآن والنصوص الدينية والبحوث الفقهية. كما كان هناك تراوج متبادل بين الأسر الدينية في العراق وايران ،

رغم إن تعداد مثل هذه الزيجات إنخفض وتقلص كثيراً في الآونة الأخيرة وصار أقل بكثير مما كان عليه في بدايات القرن العشرين قبل شروع الدكتاتوريات القومية المتعصبة في كلا البلدين بتشكيل هويات او كيانات معاصرة. **فآية الله العظمى علي السيستاني** ، مرجع الدين البارز في العراق، هو من أصل فارسي (ولد في إيران) وتلقى علومه الدينية الأساسية في حوزات إيران. كما إن أقرب وأقدم مستشاريه هم من أصول إيرانية وأنهموا دراستهم الأساسية في إيران. وعلاوة على ذلك يوجد بين كبار الأسر الشيعية العراقية العريقة والتي كانت مشهورة بالتجارة، يوجد أفراد من أصول إيرانية. أما **زعيم حزب المؤتمر الوطني العراقي أحمد الجبلي**، الذي كان نموذجاً للطبقة التجارية الشيعية المغتربة العلمانية، والمتولد في عائلة عراقية-فارسية، فإنه لا يأنف او يستتف من ملالى إيران، كما يفعل معظم البغداديين من الطبقة الارستقراطية.

لكن لا ينبغي النظر للترابط فيما بين الشيعة بكونه تعاطفاً أيديولوجياً. فشعبة العراق يضمرون مشاعر مريرة شديدة تجاه الولايات المتحدة بسبب فشل الرئيس الأمريكي **جورج دبليو بوش** في مساعدتهم في محنتهم أثناء التمرد العظيم في العام ١٩٩١، عندما إنتفض الشيعة والاكرد ضد **صدام حسين** بعد حرب الخليج الاولى **(ربما يقصد الثانية)**. وقد أسفرت هذه الإنتفاضة عن مقتل عشرات الآلاف من شيعة العراق. لكن هذا الحنق او الاحساس المرّ يمتد أيضاً الى النظام الديني الايراني، الذي لم يفعل شيئاً على أرض الواقع لمساعدة أشقائهم العراقيين في محنتهم .

ويسود شعور عاطفي او تعاطف بين العديد من شيعة العراق - لم يكن أبداً أكبر من شعور التعاطف الطاعي حتى على أروع المتدينين - مؤداه أن **المفترض بايران أن تهتم بشيعة العراق وتراعي مصالحهم**، وتبادر الى إعانتهم ودعمهم في الظروف العصيبة والشدائد كما يفعل العم لابن أخيه. ويمكن القول إن الحرب العراقية-الايرانية من سنة ١٩٨٠ وحتى العام ١٩٨٨ أدت الى إضعاف هذا الشعور او حتى تقويضه نهائياً. وتوجد أمثلة نادرة لاحتجاجات قام بها الشيعة العراقيون ضد حرب صدام على ايران. وكان لاستبداد الطاغية البعثي الأثر الكبير على ذلك، لكن هناك دائماً حقيقة لا يمكن إنكارها وهي إن أياً من الاحزاب الشيعية لم تكن لديه رغبة حقيقية للتضحية بأرواح أعضائه لصالح أي حزب آخر. **وأصبحت القومية والعروبة الحديثة العناصر الأبرز المكونة للهوية الشيعية العراقية.**

والايرانيون لا يضيّعون عادة الكثير من الوقت للتعبير عن خيبة أملهم في شيعة العراق، آخذين في إعتبارهم الأضرار والخسائر التي ألحقها الحرب العراقية بايران، وخاصة حقيقة إن غالبية منتسبي الجيش العراقي هم من الشيعة، وإن الحرس الجمهوري السني ، نخبة صدام ، كانوا في عدة مناسبات قريبين من نقطة الانكسار والتشتت. وعندما شعر شيعة العراق بغضب صدام سنة ١٩٩١، كان هناك أكثر من مجرد إرضاء طرف على حساب طرف آخر على الجانب الفارسي. ولقول الحق، فإن النظام الديني في طهران لم يعترض على الوضع الذي كان سائداً في العراق في التسعينات بوجود صدام ضعيف او مسلوب القوة وغير قادر على غزو ايران لكنه بإمكانه

الإبقاء على طائفة الشيعة في العراق ، وبالذات رجال الدين بينهم، كعناصر هادئة او خامدة وغير قادرة على التنافس مع الجمهورية الاسلامية او تحدي نفوذها.

وهذه الحقيقة تعيدنا الى إنتخابات الثلاثين من كانون الثاني في العراق. والهدف الاول الذي ينبغي للنظام الديني في ايران تحقيقه هو ضمان بقاء العراق كبلد غير مستقر وعاجز عن تشكيل حكومة منتخبة ديمقراطياً وموحدة. فإن حكومة كهذه، تكون مدعومة من جانب المؤسسة الشيعية في العراق تعد حربة موجهة ضد إستبداد نظام رجال الدين في طهران. وإن المشاحنات والمهاترات داخل صفوف الشيعة لها تأثيرها الكبير بالفعل، وهذا الجدل بين العلماء العراقيين الذين يؤمنون برجل واحد وصوت واحد وأولئك الذين يؤمنون بوجود حكومة ثيوقراطية خاضعة لأمر رجال الدين يعد إختلافاً عظيماً في وجهات النظر. ولا ينبغي أن نخدع بالعلاقات الحميمة المعلن عنها والتي عادة ما توجد بين رجال الدين في النجف ورجال الدين بطهران. وإن موقف النجف (علماء النجف) من الديمقراطية هو إنكار صريح لحق آية الله على خامنئي وأتباعه او حاشيته في حكم ايران.

فالنظام الديني الحاكم في ايران مقيداً فعلاً بالعملية الديمقراطية في العراق والجدل حول وضع جدول زمني (لانسحاب القوات الأجنبية من العراق). وإن كافة الجماعات او التنظيمات العراقية الرئيسية التي تعول عليها ايران في بسط نفوذها في العراق، وأبرزها المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق الذي أسس في ايران، وحزب الدعوة الاسلامية ، وجماعة الصدرين

أتباع مقتدى الصدر، رجل الدين الشاب المتشدد و المتورط فعلاً في حرب روحية من نوع شد الحبل مع رجال الدين التقليديين في البلاد - مع الالتزام بالعملية الانتخابية. وهناك احتمال أن تكون ايران قد أغدقت كميات كبيرة من الاموال الى داخل العراق، لتمويل هذه الجماعات الشيعية الثلاث، التي لا تتبادل الود مع إحداها الأخرى، وفيما يخص الدعوة والصديين ، كانت ايران تحمل مشاعر مشوشة بشكل متميز، او عدائية في الغالب، حيال أمور تعتبرها خاصة بايران. فقد دأب حزب الدعوة والصديون وبشكل منتظم على التقليل من شأن آية الله العظمى علي السيستاني بسبب أصله الفارسي ، وأثاروا ضجة أزاء عادة ايران في فرض إملاءاتها على شيعة العراق والنظر اليهم كتابعين لها.

والحافز الذي دفع طهران الى تقديم العون والدعم لهذه الاحزاب هو حثها على الإتكال كلياً عليها، والأهم من ذلك إبقاء أكثر ثلاث جماعات شيعية تشدداً وثورية في الخط الامامي او مقدمة جبهة السياسة العراقية . والبعض من قادة ورجالات الدعوة وشبابها، وأصحاب الرأي المطلعين على أوضاع الساحة الذين يدعمون الصدر، حالهم حال حزب البعث الذي أوجدتهم، تتسم أعمالهم بالعنف والقسوة وهم شرسون ومتشددون كما كان البعثيون والمسلحون السنة (أفراد الميليشيات) الذين يحاولون وبتعنت تمزيق المجتمع المدني وإطلاق النزاع الطائفي من عقاله.

وينتاب الأقلية السنية في العراق قلق شديد أزاء ولادة دولة عراقية يقودها الشيعة، وهو أمر لايمكن تحاشيه اذا واصل العراق سيره نحو الديمقراطية . والجماعات الشيعية التي يخشاها

أمريكي، ولا يعوزهم سوى نشوب حرب أهلية كي يتوَلَّد حزب الله في العراق.

وتسعى طهران للإئتلاف أو الإندماج مع أحزاب مختلفة التوجهات بل متناقضة غالباً لأنها لا يمكنها إبداء معارضة علنية للعملية السياسية في العراق، التي يشارك فيها عدد متزايد من شيعة العراق بشكل عاطفي وإنفعالي. وإن طهران، حالها حال واشنطن، لا تعلم حقاً ماذا سيجري أو يحدث في الثلاثين من حزيران وبعده، رغم أنها بلا شك تأمل أن يمتنع السنة من المشاركة الواسعة في الانتخابات، ليغذوا بذلك الفتنة الطائفية ويصعدوا من حدتها. وإذا كان بالإمكان إثارة حرب أهلية، فإن تجربة العراق الديمقراطية والمؤسسة الدينية الشيعية المعتدلة قد تتعرضان للإهيار والفسل. وإذا أمكن الاطاحة بحكومة رجل واحد وصوت واحد الدينية في البلد الجار، وصار بالإمكان إستنزاف الولايات المتحدة مادياً ومعنوياً في العراق، عندها سيكون بالإمكان إضعاف أخوف قوتين وأكثرهما إرباكاً للسياسة الإيرانية، وهما: الشباب الإيرانيون ذوو الميول الغربية ورجال الدين المنشقون المنادون بالديمقراطية. فكلما إزداد نزف دماء الجنود الأمريكيين وإرتفع عدد القتلى بينهم في البلد المجاور (العراق)، خاصة وإن النظام الديني في إيران يعتقد حتماً إن أمريكا تتعرض للنضوب والإستنزاف في العراق، كلما ضعفت إرادة أمريكا وجراتها للإقدام على تحرك من شأنه إقتلاع برنامج إيران النووي أو تدميره حسب أضعف الترجيحات.

وبالنسبة للعراق، لا بد لأمريكا أن يكون لها هدفان محددان وواضحان : أحدهم سحق التمرد السني وإجتثاث جذوره قبل أن يتمكن من إستفزاز

السنة أكثر من غيرها هي : المجلس الاعلى للثورة الإسلامية في العراق، وحزب الدعوة الإسلامية والصديرون. فهذه الجماعات الثلاث توجه أو توصل للعرب السنة ، والاكرد السنة ، رسالة شيعية مشددة محددة. ورغم إن هذه الجماعات تعاملت لحد الآن مع مواطني بلادها السنة العرب بحسن نية وأسلوب مهذب - لو سلمنا بوجود عدد كبير من السنة العرب ممن كانوا متورطين ومتواطئين في تحركات وأعمال بربرية أو همجية تجاه الشيعة، فإن تعداد عمليات القتل الانتقامية كانت قليلة بشكل مثير للدهشة - وإن الجماعات المذكورة بأجمعها قد تبدو بنظر السنة العرب من أقل الجماعات الشيعية إحتمالاً للصفح عنهم عما إرتكبوه من آثام بانتمائهم لحزب البعث وعمالهم للنظام البعثي السابق.

ويمكن القول إن دعم إيران لهذه الجماعات يزيد في الخصومات ومشاعر التنفر المؤدية الى غرس أو زرع بذور سياسة ونعرات طائفية في العراق. وإن ما يريد نظام إيران الديني رؤيته بصورة مثالية في البلد المجاور له هو صراع أو نزاع يمكنه من أن يؤدي الى ولادة حزب الله عراقي. ويمكن القول إن الصديين هم أكثر قرباً وشباهة بحزب الله اللبناني من الناحية الفلسفية، لكنهم من الناحية الايدولوجية لا يمثلون منظمة أو حركة موالية بشكل مطلق لطهران، مع تطورهم. وإن ولادة حزب الله لبنان ، الذي يعتبره الملاي الحاكمون في طهران بأنه يمثل أعظم نجاح حققوه خارج حدود بلادهم، إقتضت حرباً أهلية داخل لبنان وغزواً إسرائيلياً لها. وفي العراق حصل رجال الدين الحاكمون في إيران على غزو

[او التحفيز على ولادة هوية سياسية متميزة ومغضبة للشيعية وتدفعهم لإلتخاذ إجراءات بحق السنة العرب تكون مماثلة لما فعله حزب البعث سابقاً ضد الشيعة.](#) وإذا ولد مثل هذا الكيان، فمن غير المرجح أن تتوفر الفرصة لإنتشار أو سيادة الديمقراطية في العراق. لذا ينبغي لواشنطن تضمين استمرار دوران عجلة العملية الديمقراطية في العراق، بغض النظر عن العنف المتواصل في هذا البلد. وعندما تقوم أمريكا بذلك، فإن النظام الملأ في إيران لن يكون بإمكانه كسب قدرة كبيرة أو نفوذ مؤثر داخل العراق. [فالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وحزب الدعوة الإسلامية وجماعة الصدر ليسوا دمي بيد طهران تحركها أو تلعب بها كيفما تشاء، والقدرة المتنامية للعشائر الشيعية في جنوب العراق، التي كانت على مدى التاريخ تنظر الى التيار الديني بإزدراء من كل الزوايا، ستعمل على إفشال وإحباط النفوذ الإيراني.](#)

والفرس يحشرون أنفسهم في العراق كمتطفلين فضوليين (هناك عدد قليل جداً من الإيرانيين يمكنهم التحدث باللغة العربية مع أي تسهيل متوفر). لذلك فهم مضطرون لأن يكون لهم وكلاء او عملاء يسعون لتأمين مصالحهم، التي تتعارض مع مصالح غالبية الشعب العراقي. فقد كان بإمكان الولايات المتحدة قصف منشآت تخصيب اليورانيوم في إيران، وأقوى الاحتمالات تحكي عن مواجهة واشنطن لإحتجاجات واسعة في العالم العربي السني المعارض للشيعة بشكل أكبر مما هي عليه بين صفوف الشيعة. وذلك تناقض يجب على واشنطن أن تفهمه وتستوعب أبعاده. وإذا لم نقم بذلك او لم تبادر أمريكا لذلك، فمن

[المرجح أن تكسب حكومة رجال دين إيرانية \(ثيوقراطية\) مسلحة نووياً جولة المعركة سواء في العراق او ما وراء العراق.](#)

[روبل مارك غريشت هو عضو مقيم في معهد المشروع الأمريكي](#)

حرّروا الشيعة من قيودهم ؟

قد تضطر الولايات المتحدة يوماً لإنتخاب أطراف متورطة في الحرب الأهلية الدائرة في العراق كحلفاء لها

بقلم: لورا روزن (مراسلة بارزة في صحيفة الأفق الأمريكي، ولها مقالات عن قضايا السياسة الخارجية من واشنطن)
٢٠٠٦/١١/١٦

في الوقت الذي يحتدم فيه العنف في العراق ويتعرّض البيت الأبيض لضغوط متنامية لإعادة النظر في إستراتيجيته المطبقة هناك والعمل على تغييرها، يبرز جدل داخل إدارة بوش مفاده: هل ينبغي للولايات المتحدة التخلي عن جهودها للقيام بدور الحكم المحايد في الحرب الأهلية الدائرة في العراق، وإلقاء الكرة بدلاً من ذلك في ملعب الشيعة وتجربة حظّها معهم؟

فإن أي ميل من جانب أمريكا للشيعة يعد إستراتيجية خطيرة تنطوي على مغامرة اومجازفة، وهي سياسة كادت أن تؤدي الى إبعاد او إقصاء جيران العراق السنة وزيادة نفرتهم ، مما قد يؤدي الى مردود عكسي عبر جرّ السنة في هذه البلدان وإقحامهم في ورطة مشتركة مع المقاتلين القادمين من الخارج وخلايا القاعدة. [لكن عناصر في الإدارة الأمريكية، من بينهم عناصر في جهاز الاستخبارات ، يعتقدون أن مثل هذا الميل الى جانب الشيعة، قد يؤدي الى ترسيخ الإستقرار](#)

بشكل أسرع من السياسة الراهنة القائمة على أساس لعب دور الشرطي في الصراع الطائفي الدائر في العراق بشكل متكافئ ومتوازن، مع إحراز نجاح بسيط وتكبّد خسائر جسيمة ودفع ثمن باهظ.

وفي عطلة نهاية الأسبوع الفائتة ، إستناداً لمصادري الخاصة، عقد كافة أعضاء فريق الأمن القومي للرئيس الأمريكي بوش إجتماعاً سرّياً دام يومين، لبحث موضوع العراق. وكان الغرض من الإجتماع التوصل الى إجماع أو إتفاق في الرأي حول صياغة موقف لتحقيق التقدم في الإستراتيجية الجديدة. ومن بين الحاضرين في الإجتماع يمكن الإشارة الى الرئيس بوش ونائبه ديك تشيني ووزيرة الخارجية كونداليزا رايس، ومستشار الأمن القومي ستيفن هادلي، ووزير الدفاع المنتهية ولايته دونالد رامسفيلد، إضافة الى مدير الإستخبارات الوطنية جون نغروبونتي .

وقد طرحت في هذا الإجتماع خيارات متعددة يدور محورها حول تقرير إستراتيجي أعدّه مستشار الأمن القومي ستيفن هادلي، إستقاه من زيارته الأخيرة الى بغداد .كان أحدها خيار الشيعة. وقد طلب من المشاركين في الإجتماع دراسة احتمال أو إمكانية مواصلة الولايات المتحدة لسياستها في إدانة القتال ضد المتمردين السنة وكذلك الميليشيات الشيعية، أو فيما اذا كان عليها تركيز جهودها بدلاً من ذلك على محاربة التمرد السني حصرياً، بل وحتى مساعدة وتقوية الشيعة لتمكينهم من مواجهة خصومهم السنة .

وإن تنفيذ هذه المهمة سيكون بمثابة تفهقر أو تراجع في إستراتيجية واشنطن خلال السنتين

الأخيرتين والرامية الى مهادنة السنة وإقناعهم بالدخول في العملية السياسية، وهو مسعى قاده السفير الأمريكي لدى العراق زلماي خليل زاد. كما سيؤدي هذا الجهد الى تقليل أو تخفيف مخاوف وهموم قادة الجيش الأمريكي ، والتي من بينها إن جيش المهدي، الميليشيا الشيعية العاملة تحت إمرة رجل الدين المتشدد مقتدى الصدر، يمثل تهديداً جدياً وخطيراً للمصالح الأمريكية بنفس مستوى وحجم التهديد القادم من التمرد السني او عمليات المسلّحين السنة المتمركزة في محافظة الأنبار غربي العراق.

إذن ما المنطق وراء فكرة "حرروا الشيعة من قيودهم" او أطلقوا سراح الشيعة؟ إنه طريق المقاومة الأضعف، حسب أنصارها، ويمكن لها أن تساعد في تسريع كسب أحد طرفي النصر في القتال الطائفي الدائر في العراق، مختصراً مسافة ومدة الصراع، في الوقت الذي تؤدي فيه الى تقليص او تحديد حجم المخاوف الأمنية الحساسة التي تدفع الشيعة الى تعبئة ميليشياتهم وتحريكها الى الأمام في الوهلة الاولى.

وفي حديث له قال توماس دونللي، الخبير العسكري في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية: "إنّ هذه الفكرة تشبه خطة (باء) البديلة من حيث تمتّعها بإمّياز كونها أقوى تأثيراً من الناحية العسكرية".

بدورها قالت مونیکا توفت، الأستاذة الجامعية المتخصصة في الصراع العرقي بمدرسة جون كندي الحكومية التابعة لجامعة هارفرد الأمريكية : عندما تحاول لعب دور الشرطي في حرب أهلية، كل ما يمكنك فعله هو العمل على إحتواء هذه

العوامل الكامنة وراء صعود الشيعة

من أجل فهم القضايا الراهنة على مسرح أحداث الشرق الأوسط، ينبغي لواشنطن أن تتفهم أولاً مدى نفوذ القوى الشيعية في عموم المنطقة

TIME

بقلم: ولي نصر

مجلة التايم - ٢٠٠٦/١٢/١٩

إن أبرز تحدي يواجه الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط المتوتر باستمرار، يكمن في فهم أبعاد صحوة الشيعة في سائر أنحاء المنطقة. فقد أدى الغزو الأمريكي للعراق إلى إطلاق عملية تقوية قدرة الشيعة وتمكينهم من تولي السلطة التي لن تكون منحصرة في ذلك البلد. فإمتداداً من لبنان وإلى منطقة الخليج الفارسي، وعبر إجراء انتخابات سلمية وتجربة نزاعات دموية، يسعى الشيعة لإثبات وجودهم وحضورهم في الساحة ومسرح الأحداث. وكانت أبرز عناوين أخبار أحداث الساعة للعام ٢٠٠٦ تدور حول تحركات رجل الدين المتشدد مقتدى الصدر وجيش المهدي التابع لأمرته في وقت إشتدت فيه حمى الحرب الطائفية المستعرة في العراق؛ إضافة إلى أخبار حزب الله اللبناني، الذي تحرك على الساحة بتشجيع من حربه الصيفية مع إسرائيل التي دأبت على تحدي النظام السياسي الهش الحاكم في لبنان؛ وكذلك موضوع تحدي إيران لمطالب المجتمع الدولي المتعلقة ببرنامجه النووي المثير للجدل.

فعندما أطاحت الولايات المتحدة بحكم صدام حسين في العام ٢٠٠٣، سارعت الأحزاب والجماعات ذات الغالبية الشيعية - التي عانت من

الحرب. بينما إذا قمت بدعم أحد طرفي النزاع، فلن يكون أمامك متغيرات عديدة يمكن السيطرة عليها".

إلا أن مثل هذه الإستراتيجية غالباً ما تجلب معها أخطاراً جدية. فقد تنتقي واشنطن القادة الخطأ أو غير الصحيحين في الطرف الذي تقرّر دعمه ومناصرته. فإذا واصلت مثلاً دعمها لرئيس وزراء العراق الشيعي نوري المالكي، أو إختارت الميل لصالح غريمه وخصمه الشيعي، عبد العزيز الحكيم، وحزبه : المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ؟ فإنّ أيّاً من هذين الخيارين قد يؤدي إلى المزيد من القتال الداخلي والعنف في صفوف الشيعة أنفسهم.

وهناك احتمال أن تدفع هذه الإستراتيجية بعشائر العراق السنية إلى التقارب والتحالف أكثر مع القاعدة والإلتحاق بصفوفها. ويبدو يقيناً أنها ستؤدي إلى إبتعاد ونفور جيران العراق السنة وحلفاء الولايات المتحدة القدماء مثل المملكة العربية السعودية وتركيا والاردن - في حين تقوي من نفوذ إيران وترسخ أقدامها في العراق.

ومن بين المخاطر التي تحفّ بإستراتيجية "حرروا الشيعة من قيودهم" هو أنه فيما لو تمّ تبني إنتهاج هذه السياسة، فلن يكون مرجحاً أن يقرّ البيت الأبيض وبشكل علني بأن مثل هذا الخيار تم إتحاذه وتبنيّه. وإن هذا الخيار، حاله حال خيارات أخرى ساهمت في خلق المصاعب والعقبات في طريق الولايات المتحدة، سيكون قراراً أتخذ في الظلام وفي غرف مغلقة، بعيداً عن أنظار الرأي العام وخارج نطاق جدل عامة الشعب.

و ٤٠-٤٥% من سكان لبنان، الى جانب قسم عظيم من شعوب منطقة الخليج .

وإن تغييرحظوظ الشيعة قوبل بمقاومة السنة بشكل لم تشهد أية منطقة في العالم أعنف مما هو عليه في العراق ، حيث يستمر التمرد فيه بالغليان بشكل غير مقيد ومتهور. وهو يهدف ، كما هي حال مشاعر العداء للأمريكا، لإرهاب الشيعة الذين ينظر اليهم كمتواطئين او متعاونين مع الولايات المتحدة . وطوال السنتين الماضيتين أظهر الشيعة صورة إستثنائية لضبط النفس مقابل الاستفزازات المتكررة التي كانت على شكل هجمات إرهابية دامية يقوم بها متمردون سنة ، لكن ضراوة تلك الهجمات حصدت أرواحا عديدة. ولم يستقبل الشيعة بارتياح إستراتيجية أمريكا في التودد للسنة المترددين لإقناعهم بالإنضمام الى العملية السياسية، التي كانوا يعتبرونها دليلاً على ضعف تصميم وعزيمة الولايات المتحدة. وتحول إنفعال الشيعة وقلقهم الى حنق وغضب جامح في شهر شباط من عام ٢٠٠٦ عندما دمّرت قنبلة ثقيلة المسجد الذهبي في سامراء، أقدس ضريح لدى الشيعة. ورغم الدعوات المتكررة لضبط النفس ، فقد تحركت الميليشيات الطائفية النازعة للإنتقام وخرقت كل الحجب، وقدمت الوعود لتوفير الحماية لطائفة أخذت تفقد ثقتها بشكل متسارع بالعملية السياسية وبالولايات المتحدة على السواء. وبدأت ملامح الحرب تتغير عندما وجدت أمريكا نفسها في الجهة التي كانت الميليشيات الشيعية تقاوت وتحارب التمرد السني منها، لكنها كانت على طرفي نقيض مع تلك الميليشيات بينما كانت تسعى الى كبح جماح العنف الطائفي .

إضطهاد وظلم شديد طوال عقود من الزمان - سارعت الى طرح إدعاءاتها ومطالبها حول صياغة وتكوين شكل حكومة العراق المستقبلية. وقد صدقت هذه الاحزاب وعود الامريكيين بإقامة نظام ديمقراطي في العراق، وإمتثلت لاوامر أعلى وأجل زعيم روحي وديني لها : آية الله العظمى علي السيستاني الداعية الى المشاركة في الانتخابات بشكل واسع، حيث خرج الملايين من أتباعه الى الشوارع متوجهين الى صناديق الاقتراع لإنتخاب أول حكومة شيعية في العالم العربي. وقد ألهمت تلك الخطوة الشيعة بأسرهم في أنحاء المنطقة وشجعتهم على المطالبة وبصوت مسموع بحقوق وصلاحيات أكثر ونفوذ أوسع ، متحدّين ترتيبات ومخططات أمدّها قرون متطاولة أبقتهم على هامش الحياة السياسية وأقصتهم عن مسرح الأحداث.

وكان هناك على الدوام بعد سياسي يكتنف الإنقسام او التصدّع السني-الشيعي ، الذي بدأ أساساً على شكل نزاع او جدل على من سيخلف النبي محمد كأمر للمؤمنين وقائد للمسلمين في القرن السابع . وبمرور الزمان، طورت الطائفتان فهما متميزاً خاصاً بكل منهما لتعاليم الاسلام وأحكامه وأعرافه، كما فعلت الديانتان الكاثوليكية والبروتستانتية في القرون التي أعقبت إنقسامهما. ويشكّل الشيعة أقلية نسبتها ١٠-١٥ في المائة من مجموع مسلمي العالم ، لكن في مناطق الهلال الجغرافي الممتد من لبنان الى باكستان ، فإنهم يشكلون نصف السكان المسلمين تقريباً - حيث يبلغ تعدادهم ١٥٠ مليون نسمة. فالشيعة يشكلون ٩٠% من مجموع الشعب الايراني ، و٦٥% من مجمل الشعب العراقي،

وقد ضغطت واشنطن على قادة الشيعة للعمل على كبح جماح ميليشياتهم ووقف أعمالها المتهورة والإنفعالية ، لكن دون جدوى. فقد كانت هذه الميليشيات تنتظر للتمرد السني على أنه يمثل المصدر الأساس للعنف وأصررت على ضرورة أن تركز أمريكا كل جهودها على تجريد المتمردين من سلاحهم . وتصاعدت التوترات وأعمال العنف في العراق عندما أعلن العديد من الشيعة رفضهم لمحاولات التودد والمداينة من جانب الولايات المتحدة للجماعات السنية للإلتحاق بالعملية السياسية، معتبرين ذلك بمثابة إخفاق لها. فبعد مرور سنة على إلتحاق السنة بالعملية السياسية في أواخر عام ٢٠٠٥، أصبح التمرد السني أشد وأعنف.

ولابد من القول إن الصراع الطائفي في العراق ينطوي على تداعيات وعواقب خطيرة على منطقة الشرق الاوسط برمتها. وفي وقت بعيد سبق إعتراف الامريكان بالنعرات الطائفية في العراق وإدراكهم بأنها تمثل مشكلة جدية، كانت هذه النعرات قد أدت الى صياغة مواقف فيما وراء حدود العراق. فبعد الاطاحة بحكم صدام حسين بوقت قصير، حذر ملك الاردن عبد الله الثاني من بروز هلال شيعي يمتد من بيروت الى طهران - وكان بروز الشيعة كقدرة قوية لها وزنها ورد فعل السنة لذلك أمور تدور في أذهان الجميع في المنطقة.

ويمكن القول إن تخوّف الملك الاردني عبد الله قد تأكد في الظاهر بالحرب التي دامت لشهر واحد في لبنان في صيف عام ٢٠٠٦. فقد حولت هذه الحرب حزب الله اللبناني والنظام الإيراني الى سمسرة قدرة في المنطقة، وأدت الى خروج

الشيعة المبتهجين الى شوارع العراق والبحرين والمملكة العربية السعودية . وعند ذاك وجدت عدة قوى سنية تقليدية ، مثل الاردن والمملكة العربية السعودية ومصر، وجدت نفسها مسحوبة الى الهامش ومقصية عن ساحة الاحداث، بشكل يظهرها بكونها عاجزة عن التأثير على مجريات الأحداث والوقائع الدائرة في المنطقة. بل إن تنظيم القاعدة أيضاً أخذ على حين غرة وعلى غفلة من أمره فيما كان يراقب حزب الله اللبناني وهو يخطف جزءاً مهماً من بريقه ونفوذه على مسرح الأحداث. وجاء رد فعل الحكام والمتطرفين السنة سريعاً ، حيث أصدروا بيانات تنديد وإستتكار لحملة حزب الله وإعتبروها بأنها تمثل عملية إنتزاع للسلطة يقوم بها الشيعة تحت رعاية وإشراف الإيرانيين. ورغم أن هذه الحرب أدت الى بروز حزب الله كقوة شعبية ذات قاعدة عريضة في الشارع السني العربي، لكنها لم تفلح في إنهاء الانقسام او التصدّع الطائفي - خاصة وإن التوترات الطائفية طغت على سطح الاحداث في لبنان بعد توقف القصف الاسرائيلي.

وكشفت حرب لبنان أن العراق أعاد كتابة وصياغة الأحكام وقوانين الحكم في الشرق الاوسط ، وأضاف ولاءات طائفية للمعادلة التي كانت موجودة آنذاك. لكن أحداث لبنان - وبالذات رفض أمريكا لبذل الجهود والسعي لتعجيل فرض وقف لإطلاق النار بما إن الجماعات الشيعية كانت تتلقى الضربات في القتال الدائر هناك - هذه الأحداث تكلف الولايات المتحدة الكثير من حسن النية الذي كسبته بين أوساط الشيعة في أعقاب حرب العراق.

وبالنسبة لواشنطن ، تشكل تطورات الأحداث في لبنان والعراق جزءاً من التحدي الأكبر المتمثل

في مواجهة إيران والتعامل معها. فايران ترى نفسها كقوة عظمى في المنطقة ، وهي ماضية في متابعة برنامج تطوير قدرتها النووية التي ستؤكد وترسخ صورة الذات هذه. ومنذ العام ٢٠٠٣ أظهرت ايران للعالم صورة الدولة الواثقة من نفسها لكن مع عكس صورة الدولة الراديكالية (المتطرفة). وإن هدف الرئيس الايراني محمود أحمدي نجاد بوضع ايران في موقع الدولة القائدة للعالم المسلم بأسره يقتضي التركيز على معاداة إسرائيل والغرب الذي يميل لتوحيد العرب مع الايرانيين، سنة وشيعة ، حتى في الوقت الذي يسعى فيه لتهميش دور حلفاء الغرب التقليديين من السنة. هذا هو المنطق وراء التوترات المتنامية بين ايران والعالم الغربي حول القضية النووية، ومن خلال هجمات مسمومة ضد إسرائيل. وإن تحدي ايران المتنامي وجه إنذاراً ليس لأمريكا وإسرائيل فحسب، بل إن الحكومات السنية العربية باتت مهددة من جانب تحدي طهران لموقعها ومكانتها في الداخل او بين دول المنطقة. وإن رؤية طهران وهي تملي سياسة أمنية ونفطية على كل دول المنطقة، والأكثر إثارة للقلق، تدخلها لصالح السكان الشيعة المحليين، كل ذلك حدا بالحكام السنة في سائر دول المنطقة الى ممارسة الضغط على واشنطن لمواجهة ايران والتصدي لتحدياتها.

والولايات المتحدة تنظر لايران من خلال موشور الأزمة المستعصية حول برنامجها النووي، لكن أهميتها تمتد الى مخاوف الولايات المتحدة إزاء أحداث العراق والوضع في أفغانستان الى جانب الصراع العربي-الاسرائيلي ومشكلة أسعار النفط. ومن خلال إطاحتها بنظام حكم طالبان بافغانستان وحكم صدام في العراق تكون واشنطن

قد ألغت فعلاً إثنين من الدّ أعداء ايران الرئيسيين ووفرت الفرصة لطهران لبسط نفوذها في المنطقة. ورغم أن أمريكا تعتبر دعم ايران لأحزاب العراق وميليشياته الشيعية ، بأنها تمثل العامل الأساس لزعة إستقرار وأمن العراق، لكنها غير قادرة على فعل الكثير لوقف هذا الدعم. وقد كشفت حرب الصيف الماضي بين إسرائيل وحزب الله اللبناني عن مدى نفوذ طهران وتأثيرها على لبنان. فقد قدمت ايران كل أنواع الدعم لحزب الله وقامت بتجهيزه بمختلف أنواع الأسلحة المتطورة والمعقدة لمواجهة إسرائيل، وكذلك أبرزت مشاعر الفخر والاعتزاز للانتصارات التي حققها هذا الحزب، بهدف التغطية والتعظيم على الأنظمة السنية التي نددت بالحركة الشيعية وشجبت تحركاتها. وتواصل ايران نشر ظلالها وفرض نفوذها على لبنان بينما يحكم حزب الله قبضته على هذا البلد، حيث أخذ شبح الحرب الأهلية يحوم في الأفق مرة أخرى.

ويمكن القول إن ما زرعه ايران في لبنان

تتوقع جني ثماره في العراق. وهناك نقاش وجدل محتدم في واشنطن حول مزايا ومنافع الحوار مع طهران حول الشأن العراقي ، في وقت ألمحت فيه طهران الى أنها تحتفظ بمعظم أوراق اللعب بيدها . وقبل بحث جماعة دراسة العراق مسألة إقحام او إشراك ايران في حوار مباشر حول العراق، عقدت طهران قمته الأمنية الخاصة بها بخصوص العراق، مبدية وجهة نظرها بأنها لا تحتاج لأية دعوة من أمريكا كي تصبح مهتمة او معنية ببحث الشأن العراقي، وإنه اذا أرادت الولايات المتحدة التعامل مع ايران - ليس فقط في موضوع العراق بل حول لبنان والقضية

الفلسطينية، او حتى افغانستان - فإنها ستكون ملزمة بقبول شروط طهران كما هي.

وتواجه أمريكا اليوم شرقاً أوسطاً مهشماً ومجزّأ، تعصف به نزاعات وصراعات قديمة وحديثة، لكل واحد منها قضاياها الخاصة به، لكنها جميعاً مرتبطة بصحوة ونهضة شيعية أوسع بدأت ملامحها تبرز في العراق. ومن أجل إصلاح أوضاع الشرق الاوسط وجعله يسير في الطريق الصحيح، ينبغي لواشنطن إجراء نقاش وحوار جاد مع هذه القوة الجديدة والتعرف على الأسلوب الذي تتبعه لصياغة هيكلية جديدة للمنطقة.

لإنقاذ الديمقراطية في العراق

حرب بوش تستهدف الشيعة أيضاً



بقلم: مقتدر خان /عضو غير مقيم في مركز سابان لسياسة الشرق الاوسط

مجلة نيوز - ٢٠٠٧/١/١١

بعد شهرين من إعلان الشعب الأمريكي رأيه بعدم الثقة بشكل ساحق بالرئيس بوش وحربه في العراق عبر تسليم البيت الابيض ومجلس الشيوخ الى الديمقراطيين، بعد بقائهما لاثنتي عشرة سنة بأيدي الجمهوريين، أقرّ بوش أخيراً بإرتكاب أخطاء إستراتيجية كبيرة في العراق. ففي خطاب طال إنتظاره إترف بوش بمسؤوليته عن الإخفاقات الحاصلة في العراق، موضحاً بعد ذلك معالم إستراتيجية جديدة لضمان بقاء ديمقراطية عراقية .

وكان حديثه الذي إستغرق العشرين دقيقة ، مليئاً بعبارات بليغة وكلمات رتيبة وموزونة من

قبيل: "أعباء الحرية"، و"أمل التحرير"، و"مؤلف التحرير"، و"الصراع الايديولوجي الحاسم"، الا أنّ كلامه حول هذه المواضيع كان ضعيفاً وفاتراً. وتضمّن خطابه أيضاً "لحظة سخيفة" عندما شاطر الإستخبارات مع الشعب الأمريكي في الإيحاء بأنّ القاعدة خططت لتأسيس إمبراطورية إسلامية متطرفة في محافظة الانبار العراقية.

وفي واقع الأمر يمكن القول إن الإستراتيجية الجديدة المعلنة من قبل الرئيس الأمريكي لم تتضمن شيئاً مهماً لتقدمه لحل المشكلة العراقية أكبر مما كان متوقّعا من جانب الخبراء وأصحاب الرأي. فلم تكن هناك خطة واضحة لإيجاد او إستخراج حل سياسي للتصدع او الصراع الشيعي-السنّي ، كما لم تتضمن الإستراتيجية أي إلتزام او تعهد ثابت من طرف الولايات المتحدة لضمان الرخاء الاقتصادي لبلد بلغت نسبة البطالة فيه ٦٠% في العديد من المناطق، كما لا توجد أية إشارة الى ماهية الخطط الأمريكية المرسومة لإستعادة ثقة وإعتماد سكان العراق السنة الذين يقاومون ويحاربون الحكومة العراقية الجديدة والإحتلال الأمريكي على السواء .

وهناك ثلاثة عناصر أساسية لهذه الخطة : أحدها التحوّل التكتيكي في أسلوب القتال ضد المتمردين والمسلحين. ففي السابق كانت القوات الأمريكية تفرّغ المدن الصغيرة والأحياء من سكانها ثم تغادرها بعد ذلك مما يفسح المجال أمام المتمردين للعودة اليها وتنفيذ عملياتهم فيها. لكن الرئيس الأمريكي أعطى مؤخراً تعهداً بإخلاء المناطق من المسلحين ثم فرض السيطرة عليها مما يحول دون عودة المتمردين والارهابيين اليها. لذا فإن إرسال الواحد وعشرين ألف جندي اضافي

الى العراق والمقرر إنتشارهم هناك يعد أمراً ضرورياً للسيطرة على أوضاع المناطق المفرغة من المتمردين.

ولعله لم يحدث أن واجه المخططون وصناع القرار في البنتاغون او وزارة الدفاع الامريكية وضعاً كهذا من قبل وهو : اذا لم يتمكن المتمرّدون والمقاتلون الطائفيون من العودة الى مناطقهم وأحيائهم السابقة في بغداد، فإنهم عند ذاك يبادرون الى نقل ساحة عملياتهم وهجماتهم الى مدن ومحافظات أخرى. وحسب هذه الخطة سيتم بحلول شهر تشرين الثاني في العام الجاري، سيتم تحويل إدارة جميع محافظات العراق الثمانية عشر الى السلطات العراقية للإشراف عليها، مما يوفّر للمقاتلين والمسلحين خيارات متعددة لإيجاد ساحات جديدة لمزاولة نشاطاتهم وشنّ هجماتهم .

والعنصر الجديد الثاني في هذه الخطة هو ذو طبيعة استراتيجية ومهم حقاً. فقد أشار الرئيس بوش وبوضوح الى أنه وخلافاً لما كان عليه الوضع في السابق، عندما كانت القوات الامريكية تتمتع عن نزع سلاح قوات الميليشيات الشيعية وإتخاذ إجراءات صارمة ضدها، فإن الولايات المتحدة غيّرت سياستها فعلاً وتنوي إتخاذ إجراء جدّي وحاسم ضد هذه القوات. واذا أردنا الدقة فكلماته كانت هكذا: "في العمليات السابقة، كان التدخل السياسي والطائفي يحول دون وصول القوات العراقية والأمريكية الى المناطق التي كانت مرتعاً وملجأً آمناً لأولئك الذين كانوا يتولّون تغذية وتمويل العنف الطائفي ... لكن في الوقت الراهن، ستكون القوات العراقية والأمريكية مخولة لدخول ومداومة تلك المناطق والأحياء، وقد توعدّ رئيس

الوزراء العراقي نوري المالكي مؤخراً بأن التدخل السياسي والطائفي لا يمكن تحمّله بعد اليوم.

وهذا الوعد واضح ولا غبار عليه. فالولايات المتحدة تعتزم ملاحقة الميليشيات الشيعية في حين لم يعد رئيس الوزراء المالكي مستعداً لتوفير الحماية لها. ونبقى كلنا بانتظار تحقق هذا الوعد. فحكومة المالكي بحاجة للدعم المتأبّي من مقاعد البرلمان العراقي الثلاثين التي يشغلها أتباع الزعيم الديني المتشدد مقتدى الصدر. واذا إمتنع المالكي عن توفير الغطاء السياسي للصدر وأتباعه، فإن الصدر سيتوقف حينئذ عن دعم حكومة المالكي مما يحتمل أن يؤدي الى إنهيارها. والشيء الواضح الآن هو أن واشنطن جادة جداً في هذا الشأن. وقبل يوم واحد من موعد إلقاء بوش لخطابه، وجّه المالكي إنذاراً شديداً لجيش المهدي وحذّره من أنهم اذا لم يضعوا أسلحتهم جانباً فإنهم سيواجهون هجمات القوات الامريكية والعراقية. كما أبدى آية الله العظمى علي السيستاني دعمه لخطوة نزع سلاح الميليشيات والجماعات المسلحة مهما كانت هويتها او إنتماءاتها. وفي الوقت الذي تراجع فيه نفوذ وتأثير السيستاني على السياسات العراقية ومجريات الأحداث، يمكن القول مع ذلك بأن دعمه ذاك له أهميته ومغراه في هذا الطرف الحساس.

والسؤال المطروح الآن هو: هل ستجج إستراتيجية بوش الجديدة في حل المشكلة؟ ففرص نجاحها مازال بعيدة وضعيفة، حيث تمثل بوضوح حالة الفرصة الضعيفة وفوت الأوان. وتعتمد هذه الإستراتيجية أيضاً على العديد من عوامل الزمن والظروف الطارئة. وكمثال على ذلك، لا بد من طرح السؤال التالي: هل ستبادر

وهناك مشكلة رئيسية عند تطبيق هذه الاستراتيجية ، ولا أدري هل يمكن لصناع السياسة الأمريكيين إدراك هذه الحقيقة. فيتصريحه هذا يكون بوش قد أعلن الحرب عملياً ضد الشيعة. فقد قرّر ملاحقة الميليشيات الشيعية في العراق الى جانب الانظمة الشيعية الحاكمة في المنطقة.

ويمكننا القول إن الولايات المتحدة كانت حتى وقت متأخر تقاتل وتحارب السنة حصراً، وخاصة تنظيم القاعدة والجماعات المتمردة او المسلحة العراقية. الا أنه من الآن فصاعداً ستبادر القوات الامريكية لمحاربة القاعدة والمتمردين او المقاتلين السنة إضافة الى الميليشيات الشيعية كجيش المهدي وجماعة بدر بل ربما حتى شبكات وخلايا الاستخبارات الايرانية والسورية والجماعات الفدائية العاملة بإمرتهما .

وفي الظاهر، يبدو أن نزعة إدارة بوش للحرب والعنف لم يتم إشباعها بالحروب في أفغانستان والعراق والصومال ، لكنها تسعى فعلاً الى فتح جبهات جديدة في أماكن أخرى مع خصوم آخرين.

(لقد نشرت هذه المقالة أيضاً في صحيفة آسيان تريبيون)

لماذا ينبغي لأمريكا تجربة حظها مع

الشيعة؟

بقلم: نيكولاس غفوسديف وراي تاكية، عضو أقدم في مجلس دراسات الشرق الاوسط للعلاقات الخارجية

٢٠٠٧/٢/١٤

رغم الحديث عن جلب "الحرية لشعوب الشرق الاوسط"، فإن السياسة الجديدة لإدارة بوش لهذه المنطقة تبدو وبشكل مشكوك فيه بأنها تشبه

القوات العراقية التي غالبيتها من الشيعة، الى إتخاذ إجراء حاسم ضد الميليشيات الشيعية؟ او سيكون على القوات الأمريكية مواجهة هذه الميليشيات لوحدها دون مشاركة القوات العراقية؟ فعلى المدى القريب يمكن لكل منا أن يتوقع إرتفاع حالات الإصابة بين صفوف القوات الامريكية، فالى أي مدى يمكن للشعب او الرأي العام الامريكي تحمل او تجرّع ذلك؟

والعنصر الثالث في الخطة هو قرار مواجهة

ايران. فقد نشر الرئيس الامريكي كافة القوات المحمولة في مواقع حساسة تشكل تهديداً مباشراً لإيران، وقام بنشر صواريخ باتريوت للدفاع عن حلفائه المعتدلين في المنطقة ضد أي تصعيد او تهديد إيراني، وهدّد بأن القوات الامريكية ستستهدف وتضرب الشبكات الايرانية والسورية في العراق.

ويمكن القول إن أهم توصية لمجموعة دراسة العراق المسماة ببيكر-هاملتون، كانت التأكيد على دعوة أمريكا لاقامة حوار مباشر مع ايران وسوريا والمبادرة لتقديم دعمها للحكومة العراقية لمساعدتها في جهودها لإحلال الأمن والإستقرار في العراق. لكن إدارة بوش، وبدلاً من الإصغاء لهذه النصيحة و التوصية الحكيمة والعمل على تطبيقها، رضخت وللمرة الثانية لنوازعها ونزواتها المحافظة الجديدة، وقرّرت البدء بمواجهة مباشرة ضد ايران وسوريا. ويعتبر هذا التحرك نوعاً من التصعيد بل وحتى توسيع نطاق الحرب في العراق لتشمل في النهاية دولاً أخرى مثل ايران وسوريا كأهداف لعمليات أمريكية عسكرية.

السياسات والمواقف التي تبناها أسلافه الذين سبقوه في حكم أمريكا. وهناك من يأمل في واشنطن بأن يؤدي التحالف مع الملوك والأمراء السنة والأنظمة الإستبدادية الى إحتواء سوريا وإيران وحزب الله في لبنان وكبح جماحهم. فقد ولّت تلك الأيام المتهوّرة عندما كانت تطلق فيها دعوات لتحقيق تحوّل وتغييرات في منطقة الشرق الاوسط ، في وقت وجدت فيه الولايات المتحدة ضالتها في أسرة آل سعود الطيّعة والراضخة لإرادتها وكذلك في سلالة مبارك الفاسدة الحاكمة في مصر.

وقد إستغنت إدارة بوش عن الفكرة القائلة بأنّ إجراء إصلاحات في المنطقة سيجلب الى سدّة الحكم قوى سياسية تعمل على تنفيذ الأجندة الأمريكية في الشرق الاوسط وتطبق كل تعليماتها على الأرض. ويبدو أنه من الأسهل بمكان التعامل مع الرجال الأقوياء والملوك الموجودين فعلاً بدلاً من محاولة التفاوض مع مختلف الأحزاب السائرة على نهج حركة الإخوان المسلمين. وعلاوة على ذلك، وفي وقت تنتد فيه واشنطن دعماً من مصر لتسوية وفضّ النزاع الاسرائيلي-الفلسطيني وتأمّل من مشيخات الخليج مساعدتها والتعاون معها لفرض العزلة على ايران، فإنّها ترى أنه من الصعب عليها ممارسة الضغوط والحث على إجراء إنتخابات حرة وإصلاحات سياسية في المنطقة. لكن فريق بوش يواجه اليوم إحباطين أو خيبتين: الاولى هي إن الأنظمة السنيّة الحاكمة في المنطقة لا تميل كثيراً الى دعم مساعي ومحاولات أمريكا في المنطقة، بل ربما قد تعمل على عرقلتها وسدّ الطريق أمامها.

كما إنّ إتفاقات مكة بين حركتي فتح وحماس لم تقدّم شيئاً لإنجاح عملية السلام . ومن جهة أخرى، فإن القاهرة غير مستعدة او بالأحرى غير قادرة على فرض حلّ محدّد على الحكومة الفلسطينية يحول دون تقديم تنازلات او إمتيازات أرضية مهمة من جانب إسرائيل.

ونرى هذه الأيام البلدان الخليجية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية ، ورغم تمتّعها بعائدات نفطية هائلة، نراها لا تسرع في تقديم المعونات المالية والمساعدات لتنفيذ برامج إعادة إعمار العراق، ولا تبادر الى ردع او كبح جماح الجماعات المذهبية والشرائح الفكرية السنية التابعة لها ومنعها من تأجيج شرارة او نيران التمرد والعمليات المسلحة في العراق. والتقارير الواردة حول قصة المشاحنات والنزاعات الطائفية في العراق تعكس لنا أن المتمردين السنة يحظون بدعم مالي ومادي ضخم يأتيهم من مانحين أثرياء في مشيخات الخليج إضافة الى الاردن.

وخيبة الأمل الثانية لفريق بوش تكمن في أن الفكرة القائلة بإمكانية إحلال الإستقرار في منطقة الشرق الاوسط عبر إعادة إلتئام وتوحيد صفوف الدول السنية على غرار ما حصل في الثمانينات ، هي فكرة مضلّة وغير صادقة. وإن تعريف او تحديد مدى قدرة الشيعة بإعتبارهم الجهة المتطرفة المضادة لأمريكا والجهود المتهوّرة او المحمومة لمحاولة قلب الحقائق المتعلقة بجغرافية الخليج الفارسي ، ليست سياسات قديمة او بالية فحسب، بل هي سياسات فاشلة وقاصرة أيضاً . وإن إزالة صدام حسين من السلطة أدّت الى تبديد إحتمال تولّي بغداد دفّة القيادة كمعقل او حصن عربي مقابل تهديد طهران - وإن قدرة ومكانة ايران لا

يمكن إحتوائها أو إنكارها من جانب بلدان صغيرة وضعيفة على حدودها الخارجية. فبدون مشاركة العراق ، لا يوجد أنصار أو مجموعة ناخبين يدعمون محاولات أمريكا الرامية لعزل إيران ومنعها من بسط نفوذها في المنطقة.

ومن أجل تخليص نفسها من المأزق الذي تورطت فيه في المنطقة، يجب على الولايات المتحدة أن تبادر لإتخاذ بعض القرارات الصعبة، بدءاً من العراق. وإن إرسال القوات الأمريكية الى العراق مع تحميلها إلتزامات وتعهدات بالتحرك لنزع سلاح الميليشيات الشيعية لن يؤدي فقط الى تعقيد النزاع الطائفي الدائر فعلاً في العراق بل سيقود أيضاً الى إقصاء الغالبية الشيعية من الساحة، دون أي تحول مطابق في مواقف الأقلية السنية تجاه الولايات المتحدة . وقد حان الوقت في النهاية لتقييم الوضع الراهن بأنه لا يمكن لأية إشارة أو علامة إحتواء وتهدة من جانب أمريكا أن تهدئ من روع الأقلية السنية المتمردة والعنيدة المستاءة من غزو قد يكلفها أو يفقدها إحتكارها للسلطة .

ويجب على واشنطن أن تعلن وتوضح لمرة واحدة وللأبد تعهدها لغالبية سكّان العراق وحكومته المنتخبة . فبعد مرور أربع سنوات على إندلاع حرب ضارية وتمرد مسلّح هائج، يمكن القول إن الوقت قد فات على محاولة تهدئة السنة وكسب ودّهم. ولا بد لأمريكا من إتخاذ خيار الوقوف الى جانب الطرف الذي بات مرجّحاً لكسب جولة المعركة وتحقيق النصر في الحرب الأهلية الدائرة فعلاً ، أي الشيعة .

فالعراق ذو الغالبية الشيعية ليس مستعداً لركوب الموجة الأمريكية أو مجارة التيار الأمريكي في مقابل إيران ولبنان أو إسرائيل - لكن شيعة العراق لا تحوهم أية رغبة ليتحولوا الى أذنان تابعين لإيران ومنفذين لأوامرها. وفي الواقع ، هناك العديد من الحركات الشيعية في أنحاء المنطقة لا تحمل مشاعر عدا لأمريكا بشكل متعنّت أو متصلّب. والمسألة تكمن في أن التصوّر بأنّ أمريكا تسعى وتعمل على تهميش الشيعة وإقصائهم من الساحة بأي ثمن كان ، هو الذي ولد فكرة الهلال الشيعي العدائي.

وبينما تسعى واشنطن جاهدة للعثور على السبل الكفيلة لإحلال الإستقرار في العراق، ينبغي لها النظر لما وراء معايير أو شعارات رجعية لإيجاد طريقة جديدة للتقرّب الى اللاعبين الشيعة والدول الشيعية التي لم يعد بالإمكان إحتوائها أو إخضاعها لسلطة سنية . وصار لزاماً على واشنطن أن تقبل حقيقة مفادها أن نتيجة الإصلاح السياسي - في مناطق مثل العراق، وإمارات الخليج ولبنان - ستكون تقوية وتمكين حكومات غير مهتمة كثيراً بإتباع أو تنفيذ أجندة أمريكا الإستراتيجية. وقد نغالي اذا توقّعنا ظهور حلفاء جدد للولايات المتحدة، لكن الحيادية أفضل بكثير من معارضة فاعلة.

كاتب المقال هو رئيس تحرير مجلة المصلحة الوطنية (The National Interest) . والكاتب راي تكية هو عضو أقدم في مجلس العلاقات الخارجية ومؤلف كتاب "إيران الخفية: التناقض والسلطة في الجمهورية الإسلامية".

نمط حياتنا الراهنة - إختيار الطائفة

بقلم: نوح فيلدمان - صحيفة نيويورك تايمز

٢٠٠٧/٣/٤

في الوقت الذي يؤدي فيه الصراع بين السنة والشيعية في العراق الى تفرقة وشق صفوف المسلمين في أنحاء العالم ، تجد الولايات المتحدة الأمريكية نفسها في وضع غير عادي او حرج بترجيح إقامة حكومة شيعية في العراق وتفضيل قادة سنة في سائر أنحاء العالم. ونتيجة لذلك يدور حديث كثير بين الاوساط السياسية حول ماهية الطريقة التي ستتبعها أمريكا لإنتخاب الأطراف التي ستدعمها . وفوق ذلك، فإن التصدع بين الطائفتين يمتد عمره الى بدايات الاسلام نفسه - لذا فلا يحتمل أن ينتهي على المدى القريب. فما بدأ قبل أكثر من ١٣٠٠ سنة على شكل جدل حول وجوب إعطاء منصب الخلافة الشرعية للنبي الاكرم محمد (ص) لإبن عمه علي بن ابي طالب او لصحابي ليس له قرابة بالرسول، تحول هذه الأيام الى حرب أهلية دامية ، إشتدت مع مرور الزمن لتصبح إنشقاقاً دينياً وطائفيّاً عميقاً. وفيما تسير حرب أهلية أخرى في العراق نحو الأسوأ ، يستمر الجدل من إن علي أمريكا إختيار الرابع في الصراع وتقديم الدعم له الى أقصى حدّ ممكن والى النهاية.

لكن السؤال المطروح الآن هو : من هو حليفنا الطبيعي في هذا الصراع التاريخي؟ فالبعض من المحليين المؤيدين للسنة ، الذين يبدون أحياناً وجهة النظر الواقعية التقليدية (والمناصرة للقومية العربية) لمنظومة السياسة الخارجية ، يميلون

لرؤية ايران شيعية متطرفة مع الحركة التابعة لها حزب الله اللبناني ، بعنوان أكبر خطر يهدّد مصالح أمريكا في العالم . وهم يرون أن سياسة أمريكا التقليدية - المبنية على أساس دعم وإسناد قوى سنية صديقة وحليفة لها مثل المملكة العربية السعودية ومصر - تعد السبيل الامثل لإحتواء ايران . فالسنة يشكلون حوالي ٩٠ في المائة من مجموع مسلمي العالم البالغ تعدادهم ملياراً وثلاثمائة مليون نسمة. وإن دعمنا للحزب الشيعية المدعومة من ايران التي تهيمن على الحكم في العراق لم يثمر عن أية نتيجة مطلوبة لحد الآن . ففي حالة تقديم الدعم لشيعية العراق في الوقت الذي يكونون فيه منهمكين في مذابح وأعمال إنتقامية ضد السنة العراقيين ، فإننا سنجازف بتحويل حلفاءنا التقليديين من البلدان السنية المنتجة للنفط الى أعداء لنا في حين يضحّي الجنود الأمريكيان بأرواحهم ودمائهم لخدمة مصالح الإيرانيين .

وأولئك الذين يوالون ويدعمون حزب او فرقة علي (كما كان الشيعة يعرفون في الماضي) يميلون للتأكيد على الأفكار والثقافة بالإضافة الى العوامل الجيوإستراتيجية . وربما كان آية الله روح الله الخميني قد قاد التشيع نحو طريق معاداة الأمركة ومعارضة السياسة الأمريكية ، وهم يسمحون للفكر الشيعي الخصب والخلق ليكون مفتوحاً وقابلًا للاندماج والتمازج مع أفكار الديمقراطية الليبرالية. فالملاي في قم يدرسون الفلسفة الغربية من زمن أفلاطون وحتى هابرماس، كما دأب عدد من المفكرين الاصلاحيين البارزين في ايران على تحدي ومعارضة الاطروحة الأرثوذكسية الخمينية مستخدمين وسائل متحررة من الفكر الحديث والمعاصر . وإن ايران

المعاصرة ، التي تعد أهم وأقوى قاعدة للشيعية اليوم، ما تزال موسومة ومحددة بحضارة فارسية قديمة يعود تاريخ نشوئها الى ما قبل الاسلام . وفي الوقت ذاته، يعيش الاسلام السني في دولة بائسة ، ويخضع لهيمنة نزعة أصولية متعصبة ومناوئة للفكر تحركها وتديرها المملكة العربية السعودية الوهابية . ونذكر هنا بأن أسامة بن لادن هو فرد سني يدين ويشجب الشيعة والامريكان ويعتبرهم جميعاً كفاراً او ملحدين.

مع ذلك فإن هذين الخطين كلاهما يفتقدان او يجهلان حقيقة العلاقة بين السنة والشيعة ، طوال القرون الماضية وفي الوقت الراهن . وقد شهد القسم الاعظم من التاريخ الاسلامي تعايش هاتين الطائفتين جنباً الى جنب في أجواء سلمية نسبياً وحد معين من الانسجام . وشهدت دول بأكملها حركات إنتقالية للوراء وللأمام من قطب الى آخر . فالأسرة الحاكمة في مصر كانت منحدره من الفرقة الاسماعيلية المتفرعة من المذهب الشيعي طوال قرنين من الزمان خلال العصور الوسطى ، وما يزال المصريون في العصر الحاضر يحتفلون بيوم عاشوراء (العاشر من محرم) وسائر المناسبات الدينية التي يقدها ويحتفل بها الشيعة . وهناك إجماع بين علماء الدين ينص على أن قبائل الجنوب العراقي لم تعتنق المذهب الشيعي إلا في القرن التاسع عشر ، حينما رجحت ذلك بهدف تقوية العلاقات الاقتصادية مع العتبات المقدسة ذات الاغلبية الشيعية في مدينتي النجف و كربلاء. وما تزال بعض القبائل أو الأسر العراقية الكبرى والمعروفة تضم بين ظهرانيها عشائر شيعية وسنية على حد سواء، وهي تركبة ممتدة لتلك النقلة السلمية.

ويمكن القول إن الكيانات او التشكيلات السنية والشيعة أثرت على بعضها الآخر بشكل يفوق ما هو متداول ومعروف عنها في الغالب. ففي العصور الوسطى كان معظم كبار الفلاسفة المسلمين من أهل السنة ، ثم جاء الشيعة وأخذوا علومهم وتعلموا منهم. وفي وقت متأخر كانت تطلعات وطموحات الاسلاميين السنة مصاغة وفقاً للنسخة الحديثة للايديولوجية السياسية الشيعية التي طرحها الخميني .

ولا نريد القول هنا أن العلاقات والروابط بين السنة والشيعة كانت تخلو من المشاكل والخلافات. ففي العديد من الدول العربية التي تحكمها أنظمة سنية لطالما عانى الشيعة من تعامل مجحف حيث يعتبرون او ينظر اليهم بكونهم من الطبقة المتدنية ويعاملون بإزدراء . وقد شهدت هذه الدول وقوع أعمال عنف وشغب بشكل دوري ومنتظم كما حصل في باكستان، حيث وقعت هجمات طائفية وعنصرية لعقدين من الزمان كان المراد منها خلق فتن وقلقل طائفية. مع ذلك، فإن آخر قتال أيديولوجي رئيسي اندلع بين السنة والشيعة كان قبل أكثر من قرنين ، حتى قبل الثورة الامريكية، وأثناء فترة تشكيل أول دولة سعودية. وإن الخلافات العقائدية الحقيقية تعني فيما تعنيه إن المتطرفين او الراديكاليين من الجانبين يمكنهم على الدوام إيجاد الاسباب لتسمية خصومهم بمثيري البدع او المهرطقين، لكن هذا الاسلوب كان نادراً ما يستخدم لو نظرنا اليه من منظار تأريخي .

ويعني ذلك أننا سنخطئ لو توصلنا الى نتيجة مفادها أنه من المحتم علينا دعم طرف دون الآخر في تجدد النزاع مؤخراً بين السنة والشيعة . وإن الميل التي تجعل أياً من الطائفتين متميزة عن

غيرها ليست صالحة او رديئة بشكل مطلق بالنسبة للولايات المتحدة . ولنأخذ هنا النفوذ فوق المعتاد لعلماء الشيعة : حيث طرح آية الله الخميني للعالم أجمع نظرية المرشد الاعلى ومبدأ الاسلام المعارض للأمركة والإملاءات الامريكية : لكن آية الله السيستاني في العراق طرح لنا نظرية الإحجام العلماني وسياسة بناء الديمقراطية . وهذه المرونة نفسها تعد إحدى خصائص السلفيين السنة، الذين قد يرجح إصدارهم على الاسلوب البروتستانتى والفردى لقراءة وتفسير القرآن ، قد يرجح إما الاصلاح الديمقراطي او نمط تفكير إبن لادن . والأمر كله يعتمد على من هو الطرف الذي يفسر القرآن حسب هواه.

وإذا أرادت الولايات المتحدة إخماد جذوة الصحوه الاسلاميه المضادة لأمريكا، عليها أن تستعد لإحتواء وإحتضان المعتدلين والديمقراطيين من كل الشرائح، السنية والشيعة. ومن الناحية الإستراتيجية، سيكون من الخطأ إبلاغ او إفهام جميع مسلمي العالم بأن الولايات المتحدة تدعم أحد الطرفين إما السنة او الشيعة . وسيؤدي ذلك الى إضعاف وتقليل أهمية المبدأ الواقعي الجوهري القائل بأن حلفاء أي بلد هم أولئك الذين يعملون لخدمة مصالح ذلك البلد ، لا مصالح أولئك الذين يرجحونهم على أساس الجنس او العقيدة. وفي هذا السياق، يكون مبدأ الواقعية في الأساس مضاداً للتمييز العنصري اذا لم نقل محايداً ولا يفرق .

لذا فإختيار أصدقائنا على أساس المرحلية او كل قضية على حدة يعدّ الأفضل أخلاقياً والأكثر حكمة عملياً. وبغض النظر عما يجري في العراق، يمكننا القول بعدم وجود ما يوحي الى إختفاء او غياب التشيع أو التسنن من مسرح

الاحداث. فمجرد وجود عدد من المسلمين ممن هم على إستعداد للقتال على أساس من هو سني ومن هو شيعي لا يعني أننا ملزمون بفعل شيء في هذا البلد.

نوح فيلدمان هو أحد أعضاء مجلس العلاقات الخارجية ، وأحد الكتّاب المساهمين في تحرير هذه المجلة

معهد المشروع الأمريكي لأبحاث السياسة العامة

الإنقسام الشيعي - السني

بقلم: ربول مارك غريشت

٢٠٠٧/٣/٦

منذ إندلاع الحرب الطائفية في العراق بعد حادث تفجير مرقد ائمة الشيعة في مدينة سامراء في شهر شباط من عام ٢٠٠٦، صار أمراً مألوفاً أن نسمع عن صدامات وإشتباكات بين الشيعة والسنة في العالم الاسلامي. فهل يمكن إعتبار الصراع او القتال الطائفي الشرس الدائر في العراق حالياً ، والذي لا يزال في بداياته، بأنه ينذر بتأجيج قتال أوسع نطاقاً أو أكبر حجماً بين أهم طائفتين في الدين الاسلامي؟ وما مدى حقيقة وعالمية هذه المواجهة؟

إن الإنقسام بين الشيعة والسنة لا يعد أقدم صراع داخلي مميت في الاسلام - فإنفصال او تمرد الخوارج وقع في وقت سابق لذلك، وفي معرض تأكيد على إعلان وسم المسلمين بحملهم لأفكار ومعتقدات منحرفة بعيدة عن الدين (تكفيرهم) ، يستمر هذا الخط بأبشع وأقطع صورة للأصولية السلفية المعاصرة القاتلة. لكن التشيع بقي على مدى التاريخ أكثر خط متهم بالتقصير والخطأ . ولا يخطئ الشيعة عندما يرون الحضارة

الاسلامية الكلاسيكية ، التي تبدأ بإرتقاء السلالة الأموية للخلافة سنة ٦٦١ وتنتهي بإضمحلال الخلافة العباسية في منتصف القرن التاسع، كإستحواذ سني على أفكار وعواطف الشيعة. وإن الفكرة القائلة بأن دم النبي (محمد) جلب لنا قدسية روحية وأسلوباً مفترضاً للحكم كانت حتماً موجودة وبقوة من العهد السابق. وكان الخليفة علي، ابن أخ النبي محمد وصهره، وكذلك ذريته (أولاده)، كانوا أصحاب الحق والإدعاء الأقوى لتولي خلافة النبي من بين سائر صحابته الأوائل السابقين في الاسلام خلال القرنين الاوليين من عمر الاسلام . لكن رغم ذلك أُنْتُخِبَ أبو بكر بدلاً منه لتولي منصب خلافة النبي . على أي حال، كان تدوين تاريخ صدر الاسلام طريقاً او عملاً محفوفاً بالمخاطر لكل مؤرخ بسبب شحّة المادة الاولى طوال مائة سنة او إنعدامها أصلاً، ويميل عدد من العلماء والمفكرين ، وخاصة من بين المؤرخين والمفكرين السنة العرب المحدثين ، يميلون لرؤية أفكار متبلورة في الاسلام قبل تكونها او قولبتها على أرض الواقع. (وفي السعودية ومصر، تزداد خطورة العمل في إعداد دراسة تاريخية حول الاسلام أثناء أكثر فتراته تقلباً وأخرج أوقات نشوئه ، حيث يعد أي بحث خارق للحجب والقيود المفروضة على هذا النوع من العمل، يعد أمراً مستحيلاً بالفعل وخاصة اذا إكتشفت السلطات الحاكمة أن القصد من هذا العمل تنوير الأذهان او الرأي العام بشأن نمو الايمان وتطوّره ، للكشف بشكل أفضل عن الإرتباطات والصلات بين عصر الجاهلية الذي سبق بعثة النبي محمد وبين فترة صدر الاسلام التي تلتها بعد إتساع المجتمع

الاسلامي وإنتشار الاسلام من خلال الفتوحات (لبلاد المشركين).

ويمكننا القول إن التشيع، كلما تطوّر ونما كلما تحول الى أقوى حركة إحتجاجية وأكثرها دواماً أثناء الفترة التقليدية - بعد تحوله الى قضية كسبت عدداً كبيراً من المتعاطفين والمؤيدين مع إنتشار الوعي والادراك من أن المجتمع الاسلامي ، وبالأخص قيادته، لم تعد تحمل مفاتيح الخلاص او النجاة. فخلال عهد الحكم الاموي شعر العديد من المسلمين بأن المشروع الاسلامي أخذ يفقد طريقه ويخسر أتباعه وأنصاره. فلم يعد الخلفاء رعاة أمناء للمؤمنين، ليرشدونهم الى الصواب ويقودونهم للسير على الطريق القويم الذي يوصلهم للآخرة . فقد أصبح هؤلاء الخلفاء ملوكاً وسلطين فاسقين ، لا صلة لهم ببعثة النبي ورسالته سواء بأفعالهم او دمائهم. وعندما دحر العباسيون الحكام الامويين وإنتزعوا السلطة منهم في العام ٧٥٠، فإنهم إرتقوا سلم السلطة عبر ركوب موجة العواطف والمشاعر الشيعية . وكان الخلفاء العباسيون الأوائل مترددين وغير متيقنين أزاء ولائهم ونواياهم تجاه علي (بن ابي طالب) ، وكانوا يوحون للعديد من الناس من أن الثورة العباسية تمثل عربة او مركبة لعودة شيعية وضمان حق الشيعة في الحكم، أي بجلب نسل او إبن علي من زوجته فاطمة ، إبنه النبي محمد، لتولي منصب خليفة النبي. ولم يترسخ الإعتقاد السني التقليدي بالسلالة الحاكمة الا عندما تخلّى الخلفاء العباسيون عن مغاللتهم وتوددهم للشيعة وقاموا بتأسيس حكمهم بشكل مباشر على ما كان يعرف بالنظرية والممارسة السنية في الحكم . ويبقى التشيع قضية حساسة وإستفزازية للسنة،

لأن التشيع يمثل رفضاً قاطعاً لعقيدة ومفخرة يقدّسها السنة. والتشيع كذلك يتحدّى وبشكل جلي مشروعية التسنن والعقيدة السنية بالإدعاء بأن قاعدة العصر الذهبي للإسلام السني بنيت وأُسست على زيف وإدعاء كاذب، وعلى تحريف لأمر حق مفروض من الله .

وهذا الأمر يسبّب وبشكل خاص النكد للعرب المحدثين ، الذين يحملون حساسيات وإدراكات حديثة حول العروبة والتفاخر بالقومية العربية، لأن صدر الاسلام - بنظر التشيع ، خصمهم المأثوم - يعتبر بمثابة ذروة إعزاز السنة العرب داخل الاسلام . وفي أواخر الحكم الاموي دخلت شعوب وقوميات أخرى في الدين وبأعداد كبيرة. وحتى وقت إكتشاف النفط في الشرق الاوسط ، لم يتمكن السنة العرب من إستعادة موقع متفوق او مبرز لهم بين صفوف أسرة الاسلام الكبيرة. وبالنسبة لأولئك السنة العرب المحدثين الذين قرنوا الفكرة الغربية للقومية مع الولاءات الأقدم للعشيرة والانتماء العرقي ، فإنهم يرون أن التشيع يلوّث المفخرة التي كان الأباطرة السابقون يتباهون بها عند تحقيق أعظم إنتصاراتهم . أما بالنسبة للأصوليين السنة، فهم يعتقدون أن الشيعة ينسبون شركاء لله (أي أنهم مشركون) ، عبر منح علي بن أبي طالب وأبنائه إمتيازات إستثنائية ومكرمة الشفاعة بين العبد وربّه . وربما لا يوجد شيء أكثر نفرة بين صفوف السنة المؤمنين وعلى الأقل لشخص يعلن إسلامه، من خطيئة الشرك ، لأنها تمثل إستصغاراً ومنقصة لوحداية الله المقدسة. وكما أوضحنا ، هناك البعض في هذه المنطقة ممّن يحملون ذكريات تمتد لوقت بعيد جداً بل إن عدداً

من غير المتدينين السنة يفتخرون بمنجزات ومكاسب صدر الاسلام .

وقد إعتاد العالم سماع العراقيين في الخارج قبل سنة ٢٠٠٣ وكذلك العراقيين في الداخل ، وهم يدلون بتصريحات يقللون بها من حجم الخلافات بين الشيعة والسنة . ويبرز بين هاتين الطائفتين التجمّع العلماني الذي يقلل من أهمية العقائد الدينية والمتدينين بالتقليد او بالفطرة ، الذين يحملون شعوراً من أن طائفة الله المختارة قادرة على فهم وإستيعاب كل الأفكار والآراء المنحرفة إن لم نقل الخاطئة، والتأكيد على أن كل الخلافات كانت دائماً غلطة كبيرة وإعوجاجاً في السلوك ، اذا لم نقل ذات طبيعة عدوانية ومؤذية أخلاقياً ومعنوياً للمجتمع . فقد كان هؤلاء يكرهون سماع الأجانب يسألون عن الهويات والانتماءات الطائفية. أما الغربيون ، وربما الأمريكيون وبشكل أكثر حدّة ، والذين لا يحبّون تعريف الناس بحسب إنتماءاتهم الدينية عند تحديد إنتماءاتهم السياسية، فقد كانوا غالباً متعنتين و متمسكين برأيهم كما كان العراقيون في رفض بحث موضوع بلاد الرافدين من الناحية الدينية. ولعل أقوى إعلان عن رد الفعل هذا كان في أوساط الاكاديميين او الجامعيين المتعصبين لعروبتهم والذين عارضوا الغزو الانغلو-أمريكي للعراق في العام ٢٠٠٣، وكذلك في الجهة المخالفة بين العديد من الليبراليين والمحافظين الجدد الذين أيدوا الاطاحة بصادم . وعلى هذه القضية، لا على غيرها ، يمكن لأحدنا العثور على إجماع أوسع بين مسؤولي وزارة الخارجية الأمريكية، ووكالة الإستخبارات المركزية ، ومكتب وزير الدفاع، وبين كل من بول بريمر وأحمد الجبلي وأياد علاوي وعدنان الباجي وكنعان مكية.

إن هذا الشعور العاطفي العالمي ، ومهما كان التعبير عنه بإخلاص، يعكس مدى التوتر الذي كان سائداً على مدى التاريخ بين الطائفتين (الشيعية والسنة). إلا أنه لم يتمكن من إصابة الحقيقة من أن هذا الوضع "التسامحي" بين العرب نما ونضج في ظل تفوق سنّي في أنحاء الشرق الأوسط . وإن الوضع الراهن قد إعتراه التغيير بشكل حاسم ونهائي فعلاً في العراق ولبنان ، البلدين العربيين من بين البلدان الثلاثة (حيث تعدّ جزيرة البحرين الصغيرة الدولة الثالثة) ، حيث يتواجد الشيعة إما بعنوان الغالبية العظمى (كما في العراق والبحرين) أو هم قرييون من تشكيل القومية المهيمنة أو الرئيسية ديمغرافياً (كما هي الحال في لبنان) . وكان التسامح السنّي تجاه الشيعة - الذي لم يكن سمة مألوفة لهم سواء في العصر التقليدي أو أحد القرون الوسطى ، عندما شكّلت الحركات أو السلالات الشيعية تهديداً جدياً لسيادة السنة - كان بسيطاً نسبياً في العصور الحديثة لأن القدرة الشيعية في العالم العربي بدت وكأنها عالم مليء بالتناقضات.

وجاء الغزو الفلسطيني ثم الإسرائيلي للبنان - والأول كان مصحوباً بعمليات نهب وسلب كبيرة يومياً ضد الشيعة ، كان أكثر محورية من الاحتلال الاسرائيلي بعد العام ١٩٨٢ في منح الطائفة الشيعية اللبنانية هوية سياسية خاصة بهم - وبعدها الحروب الأمريكية في الفترة ١٩٩٠-١٩٩١ ثم في السنوات ٢٠٠٣-٢٠٠٧ ، جاءت لإحداث تغيير جذري في الديناميكية السنية-الشيعية وميزان القوى بين الطائفتين . وقبل ذلك كان السنة العرب ينظرون لأنفسهم بإعتبارهم الطائفة المتفوقة على الشيعة العرب سياسياً وعسكرياً، في

حين كان الشيعة يرون أنفسهم بعنوان الطبقة الدنيا على الدوام . وبعد تولّدهم من جديد خلال العنف وقدره الديمغرافية السكانية ، إستعاد شيعة لبنان والعراق فعلاً مركزهم وموقعهم المسلوب منهم ، وصار لزاماً على السنة أينما كانوا أن يعيشوا هذه الحقيقة ويعترفوا بها . وبالنسبة للأصوليين السنة ، الذين أصبح نفوذهم وسط مجتمعاتهم أقوى وأوسع مما كان عليه في العام ١٩٧٩ ، عندما هزّت الثورة الايرانية المنطقة برمتها، كان ذلك أمراً مستحيلاً في نظرهم .

وفي العام ١٩٧٩ ، تسنّى للأصوليين السنة المتطرفين الاشارة بالثورة الايرانية رغم أنهم كانوا يعارضون او يشجبون مضمونها ومحتواها الشيعي . فقد حدثت وبنجاح ثورة قادها أناس مدافعون عن حكم او سيادة الشريعة ، رغم أن أصحاب القرار المعنيين بتحديد ماهية الشريعة كانوا من العلماء الشيعة . مع ذلك، فإن الاختلافات بين الشيعة والسنة في تفسير الشريعة المقدسة ليست بذلك الحجم الواسع ولم تتم الاشارة لها من جانب السلفيين المتعصبين المعارضين للشيعة (وتعد قضية المتعة او الزواج المؤقت الاستثناء البارز لإتفاق الطائفتين) . وكان للثورة الايرانية مضامين وأهداف إسلامية حديثة وعالمية ، ومناوئة للفكر الغربي وكذلك للأمركة وبشكل بارز، مما يشكل إنذاراً يدوي في قلب كل أصولي سني . أما الشيعة العراقيون، الذين بادروا قبل غيرهم الى عملية بناء وتحديد الهوية الوطنية لهم خلال الفترة التي تلت سقوط صدام، فقد كان بإمكانهم بذل أقصى جهودهم لتحديد معالم معارضتهم للأمركة بكل صدق وإخلاص بشكل مصاحب لمسيرة تطوّرهم ونموهم ، وبينما يقومون بالعمليات الإنتقامية ضد السنة

العراقيين عقاباً على أخطائهم وذنوبهم السابقة، التي إرتكبوها قبل وأثناء حكم صدام وبعده . وذلك بالتأكيد الهدف الذي يبيغيه **مقتدى الصدر** ، الذي يدعو وبخطب حماسية وغاضبة أحياناً الى معاداة ومعارضة أمريكا والوجود الأمريكي . ومعارضته للأمركة تكون دائماً مؤطرة بدعوة عراقية قومية إسلامية الظاهر، ومتطرفة لكن غير طائفية، الى الوحدة ، حتى عندما يقوم رجاله بقتل السنة العرب ويحاولون تطهير مناطق واسعة من بغداد من سكانها السنة.

ولم يتضح في هذا الوقت فيما اذا كان نزيف الدماء في العراق - حيث الاحتمال المتميز يشير الى إمكانية تصاعد حدة الصراع السني-الشيوعي وبلوغه درجة المذابح الجماعية - سيكون الطابع الغالب لحركة معاداة الأمركة التي يديرها حزب الله في لبنان ونظام الملالي في طهران ، وشيعة العراق المتطرفون الذين تبنا فكرة معارضة الأمركة كمعتقد ديني . وقد تعدد معارضة الأمركة أقوى قدرة أيديولوجية قادرة على تخفيف حدة المواجهات بين السنة والشيعة، التي قد تعصف او تستحوذ على معظم أجزاء العالم المسلم على أرجح التصورات . وإن القول أن حزب الله في لبنان وملالي ايران ، وفي أغلب الاحتمالات شيعة العراق المتطرفين ، سيشددون وبإصرار على معاداة الأمركة في رسائلهم الاسلامية في حالة تحول الصدام السني-الشيوعي نحو الأسوأ. وإذا اضطرت الشيعة الى الشروع بعملية فتح تدريجية وقاسية لمناطق السنة العرب في أنحاء العراق ، فإن ذلك لن يكون احتمالاً بعيداً في حالة انسحاب الأمريكان من العراق ، وفشل طائفة السنة العرب في وقف او منع المتمردين والمفجرين الانتحاريين

من ضرب ومهاجمة الشيعة ومعاقلمهم ، عندها يمكننا توقع رؤية حزب الله لبنان وحكام ايران وشيعة العراق المتطرفين يستخدمون أوراقهم في معارضة الأمركة على أمل تحقيق التوازن لهذا الفتح الشيعي الدامي . ومن المرجح أن يحظى هذا الموقف بدرجة من المناشدة والالتماس بين صفوف السنة العرب الذين يخشون تنامي قدرة الشيعة وتوسع سلطتهم في المنطقة، والذين يضرر بعضهم مشاعر تعصب قوية ضد كل ما هو شيعي وبشكل علني . هذه هي قدرة معارضة الغرب ومعاداة الأمركة في العالم المسلم .

مع ذلك، فالاعتقاد السائد بين صفوف السلفيين السنة الأكثر تشدداً، وربما بين السنة المعتدلين ممن يخشون إقتدار الشيعة ، هو أن هذا الموقف قد يؤدي الى زيادة مشاعر العداء لديهم ضد الشيعة وضد الأمريكان . ويبدو أن العديد من السنة العرب يوجهون اللوم للولايات المتحدة الامريكية ويحملونها المسؤولية عن صعود الشيعة وتنامي قدرتهم في الوقت الراهن - التهمة التي لا تبدو أنها بلا أساس واقعي . فمن الصعب رؤية تجسّد أمل الكاتب الأنغلو-الأمريكي **أندرو سوليفان** بأن يؤدي الصدام بين السنة والشيعة في العراق الى تقليل الإنتباه وتركيز الأضواء على دور الولايات المتحدة وسياساتها في العالم المسلم . والعكس يبدو أكثر ترجيحاً وأقوى احتمالاً.

ورغم أنه من الصعب تصوّر وقوع حرب ساخنة فعلاً بين السنة والشيعة في منطقة خارج العراق، فإن بلاد ما بين النهرين (الإسم القديم للعراق) تحولت فعلاً الى ساحة لصراع غير مباشر او حرب الوكلاء الدينيين . فالاردن والمملكة العربية السعودية ومصر إختاروا

وبوضوح الوقوف الى جانب السنة العرب، في حين تبذل ايران وحزب الله لبنان أقصى جهودهما لرؤية النموذج الذي طرحاه للشيعه يحقق الانتصار ويكسب المعركة . ولن يقوى إحتمال وقوع أي نزاع غير مباشر إلا عندما تسحب الولايات المتحدة قواتها من العراق في غضون السنتين القادمتين. والأمر الذي أغرى أمريكا ودفعها الى التحالف مع "حكومات معتدلة" في المملكة العربية السعودية ومصر، اللتين تعتبران أهم معقلين فكريين للعمل المسلح السني وتمثلان مهد الحركة البن لادنية، لمواجهة النفوذ الايراني، التي كان يمكن لها أن توجج وتصد من حدة التطرف الشيعي والسني ، مما يجعل تعاطف أي من الطائفتين مع الولايات المتحدة او مع إحداها الأخرى أمراً مستبعداً . كما أن تسليح الشرق الاوسط المسلم نووياً يبدو أمراً مرجحاً ومحتماً اذا تطور هذا السيناريو وفشلت كل من الولايات المتحدة وأوروبا وإسرائيل في وقف برامج طهران لتطوير أسلحة نووية . وإن الصراع من أجل السلطة والخلاص الذي بدأ بعد رحيل النبي محمد سيكون له عندئذ بعداً جديداً تماماً.

رويل مارك غريشت : عضو مقيم في معهد المشروع الأمريكي